الْفَصْلُ الثَّانِي

ظَاهِرَةُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

• وَفِيهِ مَطْلَبَانِ:

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ: مَجالَاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الْمَطْلَبُ الثَّانِي: مَظَاهِرُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

الْفَصْلُ الثَّانِي

ظَاهِرَةُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

لقد شاع في السنوات الأخيرة ظاهِرَةُ الإلحاح في محاولة المطابقة بين النصوص الواردة في أحداث آخر الزمن وبين بعض الوقائع المعاصرة والمتوقعة، وقذفت المطابع بعشرات الكتب، وعشرات النشرات، والمقالات، والأشرطة، فيها خَوضٌ في «أشراط الساعة»، مرة بحق، ومراتٍ بالظن، والقول على الله بغير علم، واختلط الحق بالباطل، والتبست الأمور على الجمهور، حتى صار المناخ مهيئًا لتفريخ مهديٍّ موهوم، أو مسيحٍ كذَّاب، أو منقذٍ دجّال، وفيما يلي نحاول رصد بعض أسباب تلك الظاهرة:

السَّبَبُ الأَوَّلُ: شيوع الفتن، وظهور المنكرات، وتَحَقُّقُ كثير من أشراط الساعة الصغرى.

الثَّانِي: الاضطهاد العالمي للإسلام وأهله، في مقابلة ضعف الأمة.

وهذا واضح لكل ذي عينين، فقد دقَّ الغرب بقيادة أمريكا طبول الحرب ضد الإسلام، حتى قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر بسنوات، وبدأ المفكرون والساسة ـ الغربيون ـ بمجرد انهيار وتفكك «الاتحاد السوفيتي» في البحث عن «عدو»، ورُشِّحَ الإسلام لذلك، وتعالت صيحاتُ مفكريهم؛ مثل «هنتنجتون» وغيره بحتمية الصراع بين الحضارات، وكتب منظروهم مثل «نيكسون»، وغيره، مُحَذِّرِينَ من الخطر الإسلامي، وجزم بعضهم بأن «القرن القادم هو قرن الحروب الدينية»، وشاع في الغرب ما سمي بـ «رُهاب الإسلام» Islamophobia، وكان لأحداث البلقان والمذابح الوحشية المتتالية للمسلمين هناك، وكذا انفجار الانتفاضة في فلسطين المباركة، وأحداث الجزائر، والشيشان، والخليج الإسلامي، وإندونيسيا، والسودان، وغيرها ـ أثر عميق في نفوس المسلمين؛ إذ رأوا الانحياز الظالم للغرب ضدهم، وعاينوا نفاق الغرب

المدعي حماية «حقوق الإنسان»، وكيف أن الغرب كان يأكل ـ تحت وطأة الشَّرَهِ الصليبي ـ «صنم العجوة»[1] الذي يعبده باسم الحرية، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، كل هذا وغيره ولَّد شعورًا بالمرارة، والظلم، والقهر، ضاعفه الحملات القمعية الشرسة داخل بعض بلاد المسلمين ضد الدعاة إلى اللَّه، ورموز الإسلام، وأطلقت يد وسائل الإعلام العالمانية التي عاثت في الأرض فسادًا، وصدَّت الناس عن سبيل اللَّه بدعوى محاربة ما أسموه «التطرف، والإرهاب، والأصولية»... إلخ.

لقد تراكم الشعور بالظلم في النفوس المكبوتة، واقترن ذلك بتدهور حال الأمة، وتداعي الكفَّار عليها تداعيَ الأكلة إلى القصعة، ففزع البعض إلى مواجهة هذه الأوضاع «بالفِرَارِ» إلى التطلع إلى ظهور المهدي، ونزول المسيح ـ عليه السلام ـ، وهذا ـ في الجملة ـ لا يُنكر ـ كما سنبين إن شاء اللَّه ـ تعالى[2] ـ، لكن المنكر أن بعضهم حاد عن الضوابط العلمية، وقفز فوق السنن الكونية، وتقوَّل على اللَّه بغير علم، حين حدَّد بعض الشخصيات المعاصرة على أنها المقصودة في بعض الأحاديث، أو زعم أن المهدي موجود الآن في مكان كذا، أو رسم صورة تفصيلية لأحداث المستقبل ـ وهو غيب لا يعلمه إلا اللَّه ـ بمجرد الظن والتخمين.

ومن هنا نشأت ظاهرة «العبث بأشراط الساعة»، التي راجت في السنوات الأخيرة.

السَّبَبُ الثَّالِثُ: انفتاح المسلمين على «الإسرائيليات» القديمة والمعاصرة[3]، وتأثر البعض بـ «هَوَسِ» أو «حُمَّى» الألفية الجديدة الرائجة في العالم الغربي، والمسيطرة على صُنَّاع القرار هناك.

---

(١) الإشارة إلى ما رُوي من أن بعض الناس في الجاهلية كان يصنع صنمًا من العجوة؛ ليعبده، فإذا جاع، أكله.

(٢) انظر ص (٦٩٥).

(٣) انظر ص (٦٥٩)

تَنْبِيهٌ:

ينبغي التفريق بين «تقبل وتصديق» هذه الإسرائيليات بنوعيها، وبين «رصد» أفكار الخصم، من باب «اعرف عدوك»، ولتستبين سبيل المجرمين، وليفهم أولو الرأي من المسلمين مقاصدَ الأعداءِ بهم، وكيف يفكرون؟ وماذا يخططون؟ على أن ينحصر الانشغال بها في المختصين بذلك ما أمكن، حماية للعوامِّ من الوقوع في حبائل تلك الإسرائيليات، وتقبلها، والبناء عليها؛ كأنها وحي منزل.

الْمَطْلَبُ الأَوَّلُ

مَجَالَاتُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

نعرض في هذا المطلب بعض المجالات التي كانت مَسْرَحًا لخوض الخائضين بغير علم في بعض أشراط الساعة:

الْمِثَالُ الأَوَّلُ: عَبَثُهُمْ بِعَلَامَةِ خُرُوجِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ:

وهذه من أكثر الظواهر تَكْرَارًا كما سبق أن بيَّنَّا، وحتى اشتكى ابن خلدون ـ رحمه الله ـ من كثرة مُدَّعِي المهدية، وتوقعات الذين يَرْجُمُونَ بالغيب فقال: «إلى كلام من أمثال هذا، يُعَيِّنون فيه الوقتَ، والرجلَ، والمكانَ، بأدلة واهية، وتحكمات مختلفة، فينقضي الزمانُ، ولا أثرَ لشيء من ذلك، فيرجعون إلى تجديد رأي آخرَ مُنْتَحَلٍ كما تراه من مفهومات لغوية، وأشياء تخيلية، وأحكام نجومية، في هذا انقضت أعمار الأول منهم والآخر». اهـ[١].

ومن ذلك قول محمد عيسى داود: إن المهدي «إسرائيلي الجسم»، ويشرحها بأن المقصود أنه ليس من البدو، ثم يضيف: «فهي لمسة لطيفة تعني: لا تلتفتوا لمن يدعي المهديةَ لنفسه، خاصة من البلاد التي ترتدي الجلباب والعقال»[٢]!!

بل تراه يحدد ـ بدقة ـ زي المهدي فيقول:

«المهدي يلبس الزي الرومي؛ يعني لبسه الأساسي هو الزي المدني الحالي بجميع أشكاله الحضارية المدنية الحالية، فهو ليس غريبًا في هيئته عن الحضارة الغربية... ولكن زيُّه الرسمي البدلة والكرافت»[٣].

(١) «تاريخ ابن خلدون»، (٥٨٢/١).
(٢) «المفاجأة»، ص (٨٨ ـ ٨٩).
(٣) «السابق»، ص (٩٠).

ومن غرائب الصفات المزعومة للمهدي قول بعضهم: «في لسانه ثِقَلٌ، إذا أبطأ عليه الكلام ضرب فخذه اليسرى بيده اليمنى فينطلق، أما عن سبب تلقيبه بالمهدي؛ فلأنه يهدي لأمر خفي، ويستخرج التوراة والإنجيل»[١].

ولقد قرأت مقالًا في إحدى الساحات الحوارية[٢] لكاتب أفاض في الأحداث التي خَمَّنَ وقوعها بين أمريكا والصين عمَّا قريب، والتي ستنتهي في زعمه بخروج المهدي من تايوان، إي والله.. حتى المهدي «تايواني» في نظر أولئك العابثين!!

الْمِثَالُ الثَّانِي: الْعَبَثُ بِعَلَامَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ:

وسأقتصر على ذكر كلام بعضهم دون تعليق؛ لأن فساده يغني عن إفساده، فهذا محمد عيسى داود ينقل عن «دان شمرون» في خطبته أمام الخريجين الجدد اليهود لإحدى الكليات الحربية بتل أبيب: «إن سنة ٢٠٠٠ سوف تشهد نشوء قيادة جديدة»، ثم يقول ـ أي محمد عيسى ـ: يقصد المسيخ الدجَّال.. ثم يقول: «والحقيقة أن ما صرح به «دان شمرون» معتمدًا على معلومات أكيدة من رجال المسيخ بالكنيست الإسرائيلي، أو مستنبطًا من وثائق سرية لنبوءات حقيقية بالتوراة (المخبوءة)، وهو مطابق أو قريب جدًّا لحساباتي، وحدسي، واستبصاري الذي استلهمت فيه إيماني بالله، واستقرأت ما بين السطور في أحاديثَ عن النبي ﷺ نبي البشرية الأمين، ولو كره ذلك الأغبياء والضالون»[٣].

ويدعي أن كتابه المسمى «احذروا: المسيح الدجَّال يحكم العالم من جزيرة برمودا» سيصدم المسيح الدجَّال؛ فيقول: «والصدمة هنا للمسيخ[٤]؛ لأن هذا الكتاب بلا شك

---

(١) «هرمجدون»، ص (٧٨).

(٢) موقع القلعة العربي بتاريخ (١٥/١١/١٤٢١هـ)، مقالة بقلم «نور الدين»، بعنوان: «المهدي يخرج من تايوان».

(٣) «احذروا: المسيخ الدجال يحكم العالم من جزيرة برمودة»، (ص١٤١ ـ ١٤٢).

(٤) وهو يصر على ترجيح تسميته بالمسيخ؛ كما في كتابه المذكور ص (١٢ ـ ١٤)، مع كون هذا =

ـ وإن شاء اللَّه ـ هو أول كتاب يعرض المسيخ عاريًا في كل شيء؛ في فكره، في تصوراته، في تحركاته، في أماكنه الخفية وعلاقاته»[1].

ويقول سعيد أيوب بعد ما ذكر بعض صفات والدَيِ الدجال: «وفي هذا إشارة إلى ضرورة رصد الدجَّال بالبحث وراءه في شهادة ميلاده، وشهادة توثيق زواج أمه من أبيه؛ لتحديد متى ولد بعد زواج أمه من أبيه»[2]!.

ويزعم محمد عيسى داود أن ميلاد المسيح الدجَّال «تم منذ أربعة قرون تقريبًا، وهو ميلاد عجيب؛ لأن النطفة التي تخلَّق منها شارك فيها الشيطان، فهو مُهَجَّنٌ، أو خليط بين الإنس والشيطان، فهو من مواليد الحيض، أبوه أتى أمه في الحيض، وحدث الحمل الشيطاني، ويحتمل جدًّا أن يكون أباه (كذا!) ابن أمه، فهو في النهاية مولَّد عن زنًا خطير» اهـ[3].

وتأمل تخبطه في العبارة التالية:

(وربما ـ واللَّه أعلم ـ يكون عمره يزيد على ١٥٠٠ سنة، فهو الشبيه البشري بإبليس، أو هو النسخة البشرية من إبليس، ولو شبهنا إبليس بمادة، فالمسيخ الدجَّال هو القنينة، فما هو إلا جسد يؤدي مهمة المسيخ، وإن كنت أرجِّح أنه من مواليد القرن السابع عشر الميلادي، وعلى أقصى تقدير السادس عشر، واللَّه ـ تعالى ـ أعلم)[4] اهـ.

= تصحيفًا، انظر: «فتح الباري»، (٩٤/١٣)، حتى قال القاضي ابن العربي ـ رحمه اللَّه ـ: «ضَلَّ قومٌ فرووه «المسيخ» بالخاء المعجمة، وشَدَّدَ بَعْضُهُمْ السين ليفرقوا بينه، وبين المسيح عيسى ابن مريم بزعمهم، وقد فرق النبي ﷺ بينهما بقوله في الدجال «مسيح الضلالة»؛ فدل على أن عيسى مسيح الهدى؛ فأراد هؤلاء تعظيم عيسى، فحرَّفوا الحديث» اهـ. «فتح الباري»، (٩٤/١٣)، وانظره أيضًا (٣١٨/٢).

(١) «احذروا»، ص (١١).

(٢) وذلك بناء على رواية الترمذي، عن أبي بكرة مرفوعًا: «يَمْكُثُ أَبُو الدَّجَّالِ، وَأُمُّهُ ثَلَاثِينَ عَامًا لَا يُولَدُ لَهُمَا وَلَدٌ، ثُمَّ يُولَدُ لَهُمَا غُلَامٌ أَعْوَرُ، أَضَرُّ شَيْءٍ، وَأَقَلُّهُ مَنْفَعَةً»، والحديث في «ضعيف الترمذي»، (٣٩٢) ص (٢٥٣).

(٣) «احذروا»، (١٦).

(٤) «السابق»، ص (٢١).

نقول: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾.

وهو يجزم بأن المسيح الدجّال (من مواليد اليمن، فهم أذكى أجناس اليهود)[١]، ثم يضيف: صـ٢٣ (وربما ـ والله أعلم ـ يكون من مواليد سوريا، لكنني أرجِّحُ أنه يمني المولد)[٢].

ـ (وأنه قد تبناه أكثر من شخص بالتبني من اليهود... إلى أن تبنته شخصية يهودية في إنجلترا، ونقلته من أرض العرب إلى بلاد الغرب؛ لينشأ هناك، ويدرس كل العلوم الحديثة، ويحتل عقولًا بالهيمنة، ويتفق معهم على بناء قلعة خارج العالم)[٣].

ـ ويذكر أن به الآن «بعض الصلع في مقدم رأسه»[٤].

ـ أما عيناه فهو أعور العين اليسرى، وهي بشعة المنظر؛ لذا يداريها بدائرة سوداء، كما كان يفعل موشي ديان[٥].

ـ ويدعي أنه أحاط بأسرار ومفاتيح علوم عديدة؛ منها: الطب، وأنه استعان حتى بخبراء في طب أعصاب العيون من الجن والشياطين فعجزوا عن معالجته[٦].

ـ ويصفه بأنه حاكم «ديمقراطي»، بدليل أنه يمشي في الأسواق[٧].

ـ وهو رجل شاء الله له اشتعال غدته الصنوبرية[٨].

ـ والمسيخ الدجال رجل تعلم في إنجلترا، وبرع في علوم الهندسة بكل فروعها،

(١) «السابق»، ص (٢٣).
(٢) «السابق»، ص(٢٣)، و حذار أن تسأل عن دليل أو توثيق؛ فإنما هو الحدس، والتخمين!
(٣) «السابق»، ص (٢٣ ـ ٢٤).
(٤) «السابق»، ص (٢٥).
(٥) «السابق»، ص (٢٦)
(٦) «السابق»، ص (٢٧).
(٧) «السابق»، ص (٢٧).
(٨) «السابق»، ص (٢٩).

والطب بكل فروعه، وحتى علوم النبات، والحيوان، والمعادن، والفيزياء، والكيمياء، والرسم[١].

ويدعي أن المسيح الدجال (رجل، سيظهر في ثوب حاكم، أو رئيس دولة، وغالبًا ستكون الولايات المتحدة الأمريكية)[٢].

- «ولا أستبعد أن يكون آدم وايزهاوبت[٣] يهودي الأصل، بل لا أستبعد أن يكون هو نفسه المسيخ الدجال، لو كان أعور العينين، و لو كان معي صورة له لحددت ذلك الأمر[٤]، وإن كنت أغلِّب أنه حلقة الوصل، أو الصديق المخلص جدًّا للمسيخ الدجّال، أو ممثله الشخصي أمام الروتشيلديين الأثرياء اليهود، ثم من يختارهم لتكوين المنظمة السرية»[٥]. اهـ.

ثم يقول: «كان المسيخ الدجّال يحلم بتأسيس قلعة رهيبة لتكون قاعدة لمدينة تعتبر في هذه الأرض، ولكنها خارجها أيضًا، وانتقى إبليس له المكان بالمحيط الأطلسي، حيث عرش إبليس، وذهب - بمن اتفق معهم -، وفعلوا ما فعلوا، وأسسوا ما أسسوا، قاعدة رهيبة، عبارة عن قلعة هائلة منيعة في مثلث برمودا، واستوحى التصميم المعماري لها من الهرم الأكبر، والنجمة السداسية الإسرائيلية.

وهذه القلعة الرهيبة يتواصل اتساعها وتمددها وبناء جدرانها؛ أجزاء من الفولاذ، وأخرى من الزجاج غير قابل للكسر ولا للتحطيم.

---

(١) «السابق».

(٢) «السابق»، ص (٣٣).

(٣) (أستاذ قانون يسوعي في جامعة إنجولدشتات، ترك النصرانية، وتحالف مع المرابين الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد؛ لأجل تدمير الحكومات، والأديان الموجودة، ثم نظم جماعة النورانيين؛ لوضع المؤامرة موضع التنفيذ)، باختصار من «احذروا»، ص (٤٣ - ٤٦).

(٤) وبلغت قناعته بهذه الخيالات إلى حد أن حاول الحصول على صورة له من مكتبات ألمانيا، أو مما سجل بأجهزة الكومبيوتر، فما وجد. «احذروا»، هامش ص (٤٦).

(٥) «السابق»، ص (٤٦).

وقد استغل الدجّال وأعوانه وشعبه الذي يعيش في قلاعه ثروات ومعادن «أطلانطس»، القارة الغارقة تحت المحيط الأطلنطي»[١].

ويدعي أن المسيح الدجّال يربي جيشًا ضخمًا تحت الأرض، تحت المسجد الأقصى، وقريبًا منه، ثم يتمادى بمحاولة تعليل اختياره هذا الموقع الفريد...

ويصل به خياله الواسع إلى حد زعم أن مهندسي المسيح الدجّال راحوا يصنعون مع الحفريات أنفاقًا مكيفة، ومجهزة للحياة تحت الأرض؛ لتجميع الأطفال بها، وعمل كتائب من الأطفال اليهود؛ كرؤساء وقوّاد... إلخ[٢].

ثم يدعي أن المسيح الدجّال قد (تحكم في سرعة الرياح بأجهزة إشعاعية، وتحكم في الذبذبات، واخترع أجهزة إشعاعية تلون الهواء باللون الذي يريد، بل أجهزة أخرى تصنع حوائط هلامية في الهواء؛ كألواح من زجاج.

واخترع طواحين هوائية ذات أجهزة شافطة وجاذبة، لدرجة إمكانية جذب عدة طائرات، أو سفن ضخمة للاستيلاء عليها.

ـ وللرجل بقلعته الهائلة إدارات، ومعامل، ومصالح، حتى الجوازات، وعنده أجهزة إرسال، وتشويش، وبث، وشل، فلو أراد أن يوقف الإرسال في تلفزيونات الأرض كلها لأوقفها)[٣].

ـ وقلاعه أو مدنه أماكن مترفة جدًّا؛ لدرجة أن من يعيش هناك قد لا يتمنى مغادرة المكان[٤].

ـ ثم تحدث عن الأطباق الطائرة قائلًا: (وأقسم لكم بالله غير حانث أنهم من هذه الأرض، ومن أبنائها، ولكنهم رجال المسيخ الدجّال، وتلك الأطباق من اختراعه الذي

(١) «السابق»، ص (٤٨ ـ ٥٠).
(٢) «السابق»، ص (١٢٦).
(٣) «السابق»، ص (٥١).
(٤) «السابق»، ص (٥٣).

سبق به زماننا بقرون)[١].

وبعد تأليفه هذه القصص الطريفة من «الخيال العلمي» يتهدد من يكذبه قائلًا: (ومن لم يصدقني فسيكون حاله ومآله كشعب «زرقاء اليمامة»، حينما أبصرت ما لا يبصرون، فأنذرت وحذرت، وكُذِّبت، فكان ما كان مما يمكن أن يتكرر مع مطلع شمس يوم قادم، نسأل اللَّه منه السلامة)[٢].

ويدعي أن أغلب أتباع الدَّجّال يعيشون في أمريكا، «وله قصر رهيب مهيب لا أدري موضعه بالتحديد، ولكنني بالحدس الإسلامي أقول إنه في فلوريدا».

ثم يعيِّن ممثلين من «هوليوود» يرى أنهم من رجال المسيح الدجّال: «ولي حدسي في أن «برت لانكستر»، و«كلينت أستوود» من رجاله»، ثم يشير إلى أن الأخير رشَّحَ نفسه لمنصب الرئاسة، ثم تراجع، ويتساءل: « تُرى ممن صدرت الأوامر؟»[٣].

ثم يقول: (كذلك السيد الماسوني «آلان ديلون» فكَّر في رئاسة فرنسا، لكن دوره كممثل أكثر إفادة وتأثيرًا، فكان التراجع، تُرى ممن تصدر الأوامر بالتراجع؟)[٤].

أما «فهد سالم» فيجزم بأن الدجّال يزعم أنه مسلم، وأنه يُعطَى الرئاسة في إيران قبل ظهور المهدي، بل يُلَمِّح، ثم يصرح بأنه «محمد خاتمي»، ويسميه: «آية اللَّه جوربا تشوف»[٥]. ثم يحدد بدقة موعد خروج المسيح الدجال فيقول: «في ١٥ شعبان ١٤٢٠، الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩ يخرج المسيح الدجّال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس»[٦].

---

(١) «السابق»، ص (٥٩).
(٢) «السابق»، ص (٩٧ - ٩٨).
(٣) «السابق»، ص (١١٧).
(٤) «السابق».
(٥) «أسرار الساعة»، ص (٣٩).
(٦) «السابق»، ص (١٤٦).

وهذا مؤلف «العالم ينتظر ثلاثًا»، يرتضي الغربَ له دليلًا، فيقول:

(وأنقل بعض كلام العلماء الذي ورد في هذا الموضوع مع أدلة موضوعية تثبت هذا الحديث، أن المسيح الدجَّال موجود بيننا الآن، وأنه موجود ماديًّا في مثلث برمودا، أو مثلث الرعب والشيطان كما يقول الغرب)، ثم يسرد أدلته على دعواه؛ وهي:

ـ أنه لا تستطيع غواصة أن تسير في هذا المكان، ولا طائرة.

ـ وجود صورة المسيح الدجَّال على ظهر فئة الواحد دولار.

ـ وجود الجن في بيوت المسلمين وإيذائهم.

وهذه أدلة مادية تثبت اتحاد المسيح الدجَّال مع الشيطان وجنوده لإيذاء المسلمين.

ثم يضيف إلى أدلته:

ـ ما يحدث من مذابح للمسلمين في دول أوربية في البوسنة وغيرها، وكذلك معظم (!) الدول العربية[(١)] . اهـ.

الْمِثَالُ الثَّالِثُ: اضطرابهم بشأن «صدام حسين»:

ومن الكتب التي أثارت ضجة كتاب «المسيح الدجَّال، قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، لمؤلفه سعيد أيوب، ضمَّنه خليطًا من النصوص الإسلامية، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، وجفر الرافضة، والإسرائيليات، ثم مزجها بتخيلاته وأوهامه الشخصية التي وصفها بأنها تصوراته للأحداث «المنظورة والمقروءة»، و«المرآة التي ينعكس عليها الحدث الذي يتطابق مع دائرة الزمن، أو عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع مخزون دائرة الذهن» أو «عالم المشاهدة المنظور الذي ينطبق مع أحاديث عالم الغيب المخبوء الذي أخبر به النبي ﷺ»[(٢)] .

(١) «العالم ينتظر ثلاثًا»، ص (٦٩ ـ ٧٠).

(٢) «المسيح الدجال: قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى»، ص (١٢).

والغريب ـ أيضًا ـ أنه لم يقتصر على استدلاله بالإسرائيليات، حتى أضاف إليها تفسيرات إسرائيلية حديثة؛ كتفسير دانيال لايرنسايد، وتفسير أشعيا لناشد حنا، وتفسير حزقيال لرشاد فكري.

ويدعي «سعيد أيوب» أن المهدي المنتظر هو: صدام حسين البعثي التكريتي، وبنى ذلك على تفسيرات لكُتَّابٍ من النصارى المعاصرين قالوا: (ستكون هناك قوتان متضاربتان متنافستان على مركز السيادة في العالم: دول غرب أوروبا والآشوري)، وقالوا: «الفرات هو الحد الطبيعي بين اليهود والآشوري»، وقالوا: «يد اللَّه هي التي ستضرب بواسطة الآشوري»[1]، أما الحِلْف الذي سيكونه فقد قالوا: «ستكون القوة داخل حلفه مكونة من إيران، وسوريا، وليبيا، والسودان، وصُور، وشعوب منطقة الشرق الأدنى، وقبائل دول بحر قزوين، والبحر الأسود، والإسماعيليين، والهاجريين».

لقد حُقَّ لصدام حسين البعثي أن يقع في حيرة، فتارة يقولون هو الآشوري، وتارة هو المهدي المنتظر، وتارة السفياني، وأحسب أن صَدَّامًا لو مات لانهارت كل هذه التخرصات، ولقال المتشبثون بها يومئذ:

أُمْنِيَّةٌ ظَفِرَتْ نَفْسِي بِهَا زَمَنًا وَالْيَوْمَ أَحْسَبُهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامِ

وهذا مؤلف «هرمجدون» يقطع بأن صَدَّام حسين هو «السفياني»[2]، وأن غزوه

---

(١) ولا يبعد أن يكون «الآشوري المزعوم»، أو صدام حسين قد اطَّلَعَ على هذه النصوص، وحسب أنه المهدي المنتظر؛ وقد يشير إلى هذا الاحتمال إعلانه قبل غزو الكويت أنه من أهل البيت، وإلحاحه على استعمال عبارة: «سأحرق نصف إسرائيل»؛ فقد قال رشاد فكري في تفسير حزقيال: «وسيحتل الآشوري نصف إسرائيل في أول أيامه»، وقال ناشد حنا في تفسير دانيال: «وسيستخدم العصا على إسرائيل»، وقال فكري: «وسيغزو أورشليم في حرب النهاية».

(٢) في حين زعم «فهد سالم» في كتابه «أسرار الساعة وهجوم الغرب»، (أن السفياني زعيم عربي معاصر، يصنعه الغرب ـ الآن ـ؛ ليكون ملكًا للعرب في آخر هذا القرن؛ كما فعلوا مع جده في بداية القرن)، ص (٧٨)، ثم صرح بما ورَّى بها ـ هنا ـ في ص (١١٣)، ص (١٣٠)، فقال: إنه ملك الأردن، وإنه «الملك حسين»، ص (١٣٧).

ثم يخترع تفاصيل عجيبة عن أن الملك حسينًا يَبُثُّ جيوشه ـ بعد موت صدام ـ إلى العراق، وإلى=

للكويت وما تلاه هو «فتنة السرَّاء»، وهو الجولة الأولى من الحرب العالمية الثالثة التي يسميها ـ موافقةً لأهل الكتاب ـ بحرب «هرمجدون»[(١)].

ثم يتابع محمد عيسى داود في ما ادعاه من نص في «مخطوطات نادرة» يقول: «وفي عراق الشأم رجل متجبر....و... سفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام وهو صدام لمن يعارضه»، ثم يقول أمين جمال الدين: (والسفياني صدَّام هو السفياني الأول، وسليه السفياني الثاني المشوَّه وهو ابنه الذي يعمل برصيد أبيه)، «والسفياني صدَّام فيه خير وشر، فإذا ظهر المهدي ذهب عنه كل خير وكان شرًّا كله، وحارب المهدي؛ مما يجعل المهدي يأمر بقتله، وتخليص الناس من شره»[(٢)].

وممن تولى كِبْرَ هذه الظاهرة الدكتور فاروق الدسوقي ـ عفا اللَّه عنه ـ؛ إذ يقول: «السفياني سينتصر على كل من يحاربه، ويملك بعد دخول فلسطين وتحرير القدس مثل مُلك بختنصر ملك بابل القديم، الذي حكم المنطقة كلها»،

«فهل هذا هو مُلك الرئيس العراقي صدَّام حسين، جابر قلوب الأمة الإسلامية المنكسرة، الأزهر، سليل الفاتحين، محرر القدس في زمان الإفسادة الأخيرة؟ المبعوث من شاطئ دجلة (تكريت) ليطهر بمائه القدس من رجاسات اليهود؟»[(٣)].

ويقول ـ أيضًا ـ:

«فهو ـ أي السفياني ـ من أعظم شخصيات التاريخ الإسلامي؛ إذ يأتي في زمن ضعف الأمة وذلها، فيعزها اللَّه ـ تعالى ـ على يديه بتحرير الأقصى، وتطهيره من رجس اليهود، ومن ثم جاء وصفه بأنه «الجابر» الذي يجبر اللَّه ـ تعالى ـ على يديه قلوب أمة

= المدينة، ويتحول الشعب الأردني إلى عدوٍّ لَدُود، يطالب بمسح العراق من خارطة الوجود) اهـ. ص (١٣٧ - ١٣٨).

(١) «هرمجدون»، ص (١٩).

(٢) «السابق»، ص (٢٢).

(٣) «البيان النبوي بانتصار العراقيين على الروم والترك، وتدمير إسرائيل»، ص (٨٤).

الإسلام المنكسرة، كما جاء وصفه بأنه «الأزهر» لعلو نجمه... وهذا كله ينطبق على الرئيس العراقي صدَّام حسين»[١]، ومن ثم فهو يهدي إليه كتابه مخاطبًا إياه:

«إلى فخامة الرئيس العراقي صدَّام حسين، أيها الجابر، أيها الأزهر، قائد أولي البأس الشديد»[٢].

ويذكر في موضع آخر أنه «اكتشف» أن (السفياني هو الآشوري، ويقول: «ولما شعرت بخطر شخصية السفياني، وعظم الأحداث والفتن التي تعاصره، رجعت للكتاب المقدس(؟!!)؛ لكي أجمع كل النصوص التي تتحدث عنه أو جُلَّها، وتفسيرها في ضوء القرآن الكريم)، إلى أن يقول: (وإذا بجميع هذه النصوص والأخبار عن هذه الشخصية في الوحيين القديم(!!!) والخاتم، تتطابق مع واقع الرئيس العراقي المعاصر من حيث الصفات والأحداث)[٣].

---

(١) «السابق»، ص (٢٠).

(٢) «السابق»، ص (٥).

(٣) «القيامة الصغرى على الأبواب»، ص (١٦).

الرَّاجِمُونَ بِالْغَيْبِ
الْقَائِلُونَ مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]

نورد فيما يلي نماذج من تنبؤات بعض العابثين بأشراط الساعة، وبدون تعليق ـ غالبًا ـ؛ لأنها في قسم كبير منها تَهَاوَتْ، وانهارت حين خيبت الأيام ظنونهم، وأخلفت وعودهم.

فهذا صاحب كتاب «أسرار الساعة» يقول تحت عنوان:

السيناريو المحتمل لتسلسل حوادث الفتن، والله أعلم:

ـ في عام ١٩٩٨ يُشغل الناس باللعب واللهو في أولمبياد باريس، ثم تفاجئهم علامات الساعة الكبرى، وهم في غفلتهم يلعبون...

ـ في ١٩٩٩/١/١ وفي الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٤١٩هـ، يتم ارتكاب العمل الكوني المفزع؛ وهو تفجير المسجد الأقصى، وفي نفس اليوم تصل طلائع القوات الغربية، وتنزل في الأردن، وتحاصر بيت المقدس[١].

ـ بعد تفجير الأقصى مباشرة يتم دخول الجيوش الغربية الأردن وفلسطين، وتطوق القدس حماية لليهود، حتى يكملوا بناء الهيكل مكان المسجد[٢].

ـ ويزعم أن المهدي يظهر في يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ محرم ١٤٢٠هـ، ويحدد المدة بين ظهور المهدي ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ بأنها ثمانية أشهر[٣].

ـ في ١ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ، الموافق ١٩٩٩/٧/١٤م ينطلق صاروخ نووي من

---

(١) «أسرار الساعة»، ص (١٤١)، وما بعدها.

(٢) «السابق»، ص (١٣٦).

(٣) «السابق»، ص (٨٤).

الخليج إلى أوروبا مستهدفًا الفاتيكان حسب الخطة المرسومة[١]. في ١ أغسطس ١٩٩٩م الموافق ١٩ ربيع الثاني ١٤٢٠هـ تبسط إيران سيطرتها على معظم دول الخليج، وبعد ذلك يتم إلقاء قنبلة نووية أمريكية تدمر إيران بعد أن دمرت الخليج[٢].

- في جمادى ورجب وشعبان (أي ١٤٢٠هـ) الموافق من شهر سبتمبر ١٩٩٩م حتى نوفمبر، تبدأ الملحمة الكبرى من مقر قيادة المسلمين في دمشق تحت قيادة المهدي - عليه السلام[٣].

- في ١٥ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢٣ نوفمبر ١٩٩٩م يخرج المسيح الدجَّال بفتنته الكبرى؛ حيث يدعي الألوهية، ويظهر المعجزات لفتنة الناس[٤].

- في يوم الجمعة ١/١/٢٠٠٠م، الموافق ٢٥ رمضان ١٤٢٠هـ تشرق الأرض بنور النبي والرسول العظيم عيسى - عليه السلام -، ينزل في القدس والمسلمون بقيادة المهدي، يحاصرهم الدجَّال هناك[٥].

- يدعي أن عيسى - عليه السلام - ينزل إلى الأرض سنة ٢٠٠٠م، ثم يقول: «وهذه النتيجة تكاد تتفق تمامًا مع ما يعلنه ويبشر به أهل الكتاب عن طريق الحساب الموجود في كتبهم، وهو ما يعتقده كثير من الرهبان والقادة الكبار في العالم الغربي، وقد توصلنا إلى ذلك - ولله الحمد - عن طريق الاعتماد على أحاديث رسولنا العظيم[٦] ﷺ[٧].

- وعندما يراه الدجَّال يهرب من القدس متوجهًا إلى أكبر مطارات إسرائيل، وهو مطار اللد الدولي، ولكن عيسى يلحق به قبل أن يقلع بطائرته، ويقتله قرب باب اللد

---

(١) «السابق»، ص (١٤٦).
(٢) «السابق»، ص (١٤٦).
(٣) ، (٤) «السابق»، ص (١٤٦).
(٥) «السابق»، ص (١٤٧).
(٦) وهذا افتراءٌ على رسول الله ﷺ الذي هو بريءٌ من هذه الأكاذيب؛ وأقوى دليل على ذَلِكَ أَنَّهَا لم تقع في المواعيد التي حددها هذا الظالم لنفسه.
(٧) «السابق»، ص (٧٠)، وما بعدها.

الشرقي[١].

ـ ويدعي أن وفاة عيسى ـ عليه السلام ـ ستكون عام ٢٠٠٧م، وأن نهاية عمر الدنيا ستكون ـ بإذن الله ـ عند طلوع الشمس من مغربها في عام ٢٠١٠م[٢].

وأما جرأته على تعيين شخصيات هذه الأحداث فأمر عجيب:

فهو يرى أن «الأبقع» هو ياسر عرفات، وأن الرجل «المشوه» هو الشيخ أحمد ياسين ـ حفظه اللَّه ـ، وأن «الأصهب» حافظ الأسد، وأن «السفياني» هو حسين ملك الأردن، الذي سيبعث جيوشه إلى العراق والمدينة، وأن «صدام حسين» سيقتل في الكوفة[٣]، وأن «عمر البشير» حاكم السودان هو الحاكم العادل المقصود بحديث: «يكون بأفريقية أميرًا اثنتي عشرة سنة، ثم تكون بعده فتنة، ثم يملك رجل أسمر يملؤها عدلًا، ثم يسير إلى المهدي، فيؤدي إليه الطاعة، ويقاتل عنه»، رواه نعيم بن حماد في كتاب الفتن[٤].

أما مؤلف «هرمجدون»:

ـ فهو يرى أن «قنطرة مصر» هي قناة السويس، وهي المذكورة في رواية نعيم بن حماد عن الزهري قال: «إذا اختلفت الرايات السود فيما بينهم أتاهم الرايات الصفر، فيجتمعون في قنطرة أهل مصر، فيقتتل أهل المشرق وأهل المغرب سبعًا، ثم تكون الدَّبَرة على أهل المشرق»، وهو يدعي أن الرايات السود المشار إليها في هذا الحديث (؟!) قوات طالبان، وقوات التحالف الشمالي، وأما الرايات الصفر فهي القوات الغربية[٥].

ويقول:

(وقد ظهر «الطالبان» حوالي سنة ١٩٩٦م، وتخبرنا الآثار التي جاءت بشأنهم أنه

---

(١) «السابق»، ص (١٤٧).
(٢) «السابق»، ص (٧٠).
(٣) انظر: «السابق»، ص (١٣١، ١٣٧، ١٤٠، ١٤١).
(٤) «السابق».
(٥) «هرمجدون»، ص (٣٤ ـ ٣٥).

بين بدء ظهورهم وبين ظهور المهدي اثنان وسبعون شهرًا؛ أي ست سنوات). اهـ[١].

ثم هو يستروح لما روى نُعَيْمُ بن حماد بسنده عن كعب قال: «علامة خروج المهدي ألوية تقبل من المغرب، عليها رجل أعرج من كِندة».

ويجزم بأن المقصود بهذا «الأعرج» الجنرال الأمريكي «ريتشارد مايرز» رئيس هيئة أركان القوات المشتركة في أفغانستان؛ بدليل أنه رآه (مقبلًا على عكازين؛ ليعلن للشعب الأمريكي بدء عمليات القوات المشتركة الجوية، والبرية، والبحرية ضد أفغانستان، فقلت: اللَّه أكبر، صدقتَ يا رسول اللَّه) اهـ. [صـ٣٦]، وما أدراك أن رسول اللَّه ﷺ نطق بهذا الخبر أصلًا؟

وأين رجل مقبل على عكازين من رجل «أعرج»؟، وأين «كِندة» - بكسر الكاف - من أمريكا، أو حتى كَنَدا؟[٢].

ثم يرجح أن سنة (٢٠١٢م) هي النهاية، وليست بداية النهاية[٣].

ويحكي مبارك البرَّاك عن علماء الكومبيوتر أنه في (١/١/٢٠٠٠ سيقف الكومبيوتر، وهذا يصادف العشر الأواخر من رمضان، فلا طائرات، ولا أموال تستخرج من البنوك، ولا اتصالات حتى الثكنات العسكرية تشكل خطورة، والكهرباء والصرف الصحي يتعطل... وعلى كل حال، وقع هذا، أم وجدوا له حلًّا، فإننا على يقين أن الحضارة ستنتهي)[٤].

ثم يدعي أن أنسب تفسير لحديث «فتنة الدهيماء» اضطراب أحوال العالم كله بسبب مشكلة «الصفر» في الكمبيوتر[٥].

(١) «السابق»، ص (٣١).
(٢) «السابق»، ص (٣٥ - ٣٦).
(٣) «السابق»، ص (٧٠).
(٤) «العقلانيون ومشكلتهم مع أحاديث الفتن»، ص (٧).
(٥) انظر: «السابق»، وقد مر عام ٢٠٠٠ بدون ما توقعوه، واتضح أن «مشكلة الصفر» ضُخِّمت بدون مسوغ حقيقي لها.

التَّطْبِيعُ مَعَ التَّنْجِيمِ وَالْمُنَجِّمِينَ وَزَلْزَلَةُ ثَوَابِتِ الْعَقِيدَةِ

لم يكتف العابثون بأشراط الساعة بالرجم بالغيب، وقفو ما لا علم لهم به، حتى أضافوا إلى ذلك قاصمة أخرى، وهي «تطبيع العلاقات مع المنجمين»، والاحتجاج بقول بعضهم بعد حكاية مدحه والثناء عليه بأنه «أعظم فلكي في التاريخ»[(١)] !.

يقول صاحب «أسرار الساعة»:

«في نهاية السابع من عام ١٩٩٩م سيهبط مَلَك الفزع العظيم من السماء، وسيحكم المريخ - كوكب الحرب - لصاحب الحق، وسيكون دمارًا مروعًا وخرابًا هائلًا، تلك هي واحدة من أكثر نبوءات «نسترادادموس» فزعًا ورعبًا كما يقول المحللون، وهي طبقًا لمعظم التفسيرات تعني بأن كارثة ضخمة ستحيق بالكرة الأرضية في شهر يولية ١٩٩٩م، وقد حدد «نسترادادموس»، والذي يعتبرونه أعظم فلكي في التاريخ، بأن شرارة الكارثة الأولى ستنطلق من الشرق الأوسط»[(٢)]، إلى أن يقول:

«وما بين نبوءات «نسترادادموس» في عام (١٥٥٥م)، ومخططات واينبرغر عام

---

(١) بل منهم من تقبل حتى « حكايات عجائز اليهود»؛ فقد جاء في محاضرة لداعية فاضل بعنوان «النظام العالمي الجديد»:

«عندما أعلن عن قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م؛ دخلت عجوز يهودية على أم ذلك الداعية، وهي تبكي، فلما سألتها عن سبب بكائها، وقد فرح اليهود، قالت: «إن قيام هذه الدولة سيكون سببًا في ذبح اليهود»، ثم يقول الداعية: إنه سمعها تقول: إن هذه الدولة ستدوم ٧٦ سنة، وعندما كبر رأى أن الأمر قد يتعلق بدورة المُذَنَّب «هالي»؛ إذ إن مُذَنَّب «هالي» - كما يقول الداعية - مرتبط بعقائد اليهود» اهـ. من «زوال إسرائيل»، ص (٥٦)، وانظره، ص (٧٨) .

وهذا المذنب «هالي» هو الذي قال فيه أبو تمام في بائيته المشهورة:

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ ... إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

وهل التنجيم إلا ربط أحداث الأرض بحركات النجوم، والأفلاك؟!

(٢) «أسرار الساعة»، ص (٣٤).

١٩٩٧م، تمت جميع المؤامرات الساعية لتدمير العالم الإسلامي، وغزوه في عام ١٩٩٩م، ومثقفو هذا العالم لا يزالون يرددون ببلاهة عجيبة: «نحن ضد فكر المؤامرة»، أما قادة العالم الإسلامي فيكفيهم خدعة أن يرأسهم في طهران الدجّال نفسه[1]. والمعروف أن الرقم (٩) هو نهاية الأرقام التي تبدأ بالرقم (١) وهو حسب الفلسفة الفيثاغورثية يعني النهاية، وهو الرقم المقدس عند الطائفة البهائية التي خرجت في إيران، واستقرت في فلسطين.

وحسب علوم الجيومترا المشتقة من الكابالاة اليهودية، فإن الرقم (٩) هو رقم الملوك الغزاة.

وفي اليهودية ـ أيضًا ـ فإن الرقم (٩) هو رقم الخراب»[2].

ويقول في موضع آخر:

السفياني أو الهاشمي[3] هو المقصود بـ«ملك الجنوب»، الذي يتعاون مع ملك الروم، كما في تنبؤات اليهودي الفلكي «نستراداموس»[4].

يقول صاحب «هرمجدون» فيما يشبه الدعاية لهذا المنجم: (إن المنجم الفلكي اليهودي الشهير «ميشيل نوستراداموس» الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي، وتوفي سنة ١٥٥٩م، والذي كتب رباعيات تنبؤية لأمور مستقبلية وقعت وفق ما أخبر به تمامًا.

فقد أخبر في رباعياته عن الحرب العالمية الأولى والثانية، ووقعتا فعلًا في التاريخ الذي حدده، كما أخبر عن الثورة الفرنسية، وعن ظهور جبابرة سماهم بأسمائهم؛ منهم «هتلر»، «ونابليون»، وتنبأ بنشوب الحرب العالمية الثالثة، وأنها مدمرة، وستكون

---

(١) يقصد رئيس إيران الحالي؛ كما صرح بذلك، ص (١١٣-١١٤).

(٢) «السابق»، ص (٣٥).

(٣) وهو يقصد هنا الحسين ملك الأردن.

(٤) (أسرار الساعة»، ص (١٣٢).

في أوائل هذا القرن، وأنها نووية، وسيكون فيها حرب بيولوجية)[١].

ولا يغني عن قائل هذا الكلام قوله: «هذا العرَّاف - وهو طبيب في الأصل - لم يأتِ بما أتى به من باب الكهانة أو العرافة، وإنما هو قد اطلع على مخطوطات إسلامية[٢] حصل عليها وورثها من أجداده اليهود، كما ذكر هو في مقدمة رباعياته»؛ لأن هذه دعوى لا دليل عليها أولًا، ثم إن صح أنها مخطوطات إسلامية فأي نوع من المخطوطات هي؟ أهي أحاديث مرفوعة صحت عن المعصوم ﷺ، وهي لا تُتَلَقَّى عن عرّاف يهودي، ولا أدري كيف يهمل تفسير من لا ينطق عن الهوى ﷺ لظاهرة صدق بعض أقوال الكُهَّان أحيانًا، وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: «إن نبي الله ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ، قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، وَمُسْتَرِقُ السَّمْعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ - وَوَصَفَ سُفْيَانُ بِكَفِّهِ؛ فَحَرَفَهَا، وَبَدَّدَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ - فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، ثُمَّ يُلْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ، حَتَّى يُلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ الْكَاهِنِ، فَرُبَّمَا أَدْرَكَهُ الشِّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا، وَرُبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِئَةَ كَذْبَةٍ، فَيُقَالُ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ لَنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا كَذَا وَكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ الَّتِي سَمِعَ مِنَ السَّمَاءِ»[٣].

وعن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -: سأل أناسٌ النبي ﷺ عن الكُهَّان، فقال: «إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ»، فقالوا: يا رسول الله، فإنهم يُحَدِّثون بالشيء يكون حقًّا، قال: فقال النبي ﷺ: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ فَيُقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ كَقَرْقَرَةِ

(١) «هرمجدون»، ص (١٣)، وانظر «التنبيه» ص (٦٣٤).
(٢) ويقول - أيضًا -: «إن ما جاء به «نوستراداموس» هو من تراثنا المنهوب، وميراثنا المسلوب، الذي سقط منا فالتقطوه، وجهلناه، وعلموه» اهـ. من «هرمجدون»، ص (١٤).
(٣) رواه البخاري، (٤٨٠٠)، (٥٣٧/٨).

الدَّجَاجَةِ، فَيَتَخَلَّطُونَ فِيهِ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ كَذِبَةٍ»(١).

وعن معاوية بن الحكم ﷺ أنه قال للنبي ﷺ: «وإن منا رجالًا يأتون الكهان»، قال: «فَلَا تَأْتِهِمْ»(٢).

قال النووي ـ رحمه الله ـ: «قال العلماء: إنما نهى عن إتيان الكُهَّان لأنهم يتكلمون في مُغَيَّبات قد يصادف بعضها الإصابة، فيخاف الفتنةَ على الإنسان بسبب ذلك؛ لأنهم يُلَبِّسُونَ على الناس كثيرًا من أمر الشرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم»(٣). اهـ.

وعن بعض أمهات المؤمنين عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»(٤).

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فقد كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(٥).

وعن عمران بن حصين ـ رضي الله عنهما ـ: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تُطِيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ عَقَدَ عُقْدَةً، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا قَالَ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»(٦).

قال الإمام الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: «إنما يدخل الشبه على الناس في أمر المنجمين من قبيل أنهم يرون المنجمَ يُصيب في مسألة تقع بين أمرين؛ كالجنين

---

(١) رواه البخاري، (٧٥٦١)، (١٣/٥٣٥).
(٢) رواه مسلم، (٥/٢٠ ـ نووي).
(٣) «شرح النووي»، (٥/٢٢).
(٤) رواه مسلم، (٢٢٣٠) (٤/١٧٥١).
(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/٤٢٩).
(٦) أخرجه البزَّار؛ كما في «كشف الأستار عن زوائد البزار»، (٣٠٤٤)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح، خلاف إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» ا هـ. من «مجمع الزوائد»، (٥/١١٧)، وصححه في «صحيح الجامع»، رقم (٥٣١١).

الذي لا يخلو من أن يكون ذكرًا أو أنثى، أو المريض الذي لا يخلو من أن يصح أو يموت، والغائب الذي لا يخلو من أن يقيم بمكانٍ أو يئوب.

ومن شأن الناس أن يحفظوا الصوابَ؛ للعُجْبِ به والشَّغَف، ويتناسوا الخطأ؛ لأنه الأصل الذي يعرفونه، والأمرُ الذي لا يُنكرونه، ومن ذا الذي يتحدث بأنه سأل المنجمَ فأخطأ؟! وإنما التحدث بأنه سأله فأصاب[1].

والصواب في المسألة إذا كانت بين أمرين قد يقع ـ أحيانًا ـ للمعتوه والطفل، فضلًا عن المتلطف الرفيق، والقولُ في إصابة المنجِّم كقول الشاعر في الطيرة:

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهيَ الثُّبُورُ
وَشَيْءٌ قَدْ يُوَافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ أَحَايِينًا وَبَاطِلُهُ كَثِيرُ

وإن وُجِد لمن يَدَّعي الأحكامَ إصابةٌ في شيء، فخطؤه أضعافُه، ولا تبلغُ إصابتهُ عُشْرَ مِعْشاره، وتكون الإصابة اتفاقًا كما يظن الظانُّ المنافي للعلم المقارن للجهل الشيءَ، فيكونُ على ظنه، ويخطئ فيما هو معلومٌ أكثرَ عُمُره، ولا يُقَالُ: إن هذه إصابة يُعَوَّل عليها، ويُرْجَع إليها، بل إذا تكررت منه الإصابة في قوله، وكثر الصدقُ في لفظه، والصحة في حكمه، ولم يُخْرَمْ منه إلا الأقلُّ، حينئذ سلمت له هذه الفضيلة، وشُهِدَ له بهذه المعجزة، ولا فرق بين المنجم والكاهن؛ إذ كلُّ واحدٍ منهما يدَّعي الإخبارَ بالغيوب، وكيف يُسَلَّمُ للمنجمين ما يَدَّعونه، وأحدهم على التحقيق ما يعرف ما حدث في منزله، ولا ما يصلح أهلَه وَوَلَدَهُ؟ بل لا يعرف ما يُصلحهُ في نفسه، ويؤثر عنه أن يخبر بالغيب الذي لم يُؤْتِهِ اللَّه أحدًا، ولم يستودعه بشرًا، إلا لرسول يرتضيه، أو نبيٍّ يصطفيه»[2].

---

(١) وهذا ما فعله بعض العابثين بأشراط الساعة؛ فإنهم أهملوا ذكر ما خابت فيه ظنون «نوسترادامُوس»، وما أكثره، واقتصروا على ذكر القسم الآخر، وانظر «التنبيه» ص (٦٣٤).

(٢) «القول في علم النجوم»، ص (١٩٢ - ١٩٤).

المَطْلَبُ الثَّانِي

مَظَاهِرُ الْعَبَثِ بِأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

● **يتخذ العبث بأشراط الساعة مظاهرَ عدةً، ويتجلى في عدة مجالات:**

فمن ذلك: تكذيب النصوص الصحيحة، وزعم أنها كلها موضوعة.

ومن ذلك: إبطال معاني الأحاديث الصحيحة بالتأويل الفاسد[1].

ومنه: الخوض بغير علم في قضية «تحديد عمر الأمة».

ومنه: الغلو في محاولة مطابقة ما ورد في النصوص على وقائع وأحداث معينة، أو على أشخاص معينين رجمًا بالغيب.

ومنه: محاولة توظيف النصوص لخدمة مآربهم، والتعسف في تفسيرها بما يتوافق مع أغراضهم.

ومنه: الاستدلال بما لا يصلح دليلًا؛ كالإسرائيليات القديمة والحديثة، والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومرويات الرافضة، وحساب الجُمَّل، وما يُسَمَّى علم الحروف.

وبالجملة فكل من حادَ عن «الوسطية» في هذه القضية إلى جفاء المنكرين، أو إلى غلو المثبتين، فقد تورط في جريمة القول على الله بغير علم، والعبث بأشراط الساعة.

ومن العبث بأشراط الساعة: تكلف بعضهم اصطناع هذه الأشراط، وإيجادها في الواقع عنوة، حتى إن من مُدَّعِي المهدية مَن يغير اسمه واسم أبيه، أو يدعي الانتساب

---

(١) وممن جمع رذيلتي التأويل الفاسد، والتكذيب أتباعُ المهدي الجونبوري؛ فقد كانوا يحاولون جهدهم أن يطبقوا جميع الأحاديث الواردة في المهدي على مهديهم المزعوم؛ فإن تعذر ذلك: فإما أن يؤوِّلوا الحديث بما يوافق توجهاتهم تأويلًا سخيفًا باردًا، وإما أن يردوه بالكلية؛ فقد قال لهم «الجونبوري»، «كثر الخلاف في الحديث، ويصعب تمييز الصحيح من السقيم؛ فالذي يوافق كتاب الله - تعالى -، ويوافق أحوالي؛ فاقبلوه»، انظر: «فرق الهند»، ص (٢٤٨).

إلى آل البيت الشريف.

متناسين أن «الْمُنْتَظَرَ» تصنعه المهدية؛ لكنه لا يصنعها ولا يصطنعها .

- ومن العبث بأشراط الساعة:

الابتهاج بانتشار الفساد والظلم في الأرض، وتمني ذلك؛ بحجة أن هذا يعجل بخروج المهدي الموعود.

أَيُّهَا الْعَابِثُونَ: بَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا

فإن تَوَقُّعَاتكم تبعث أحيانًا على الإحباط، وتسوء المسلمين، وتؤذي مشاعرهم الإيمانية، وتُدخل الْحَزَنَ في قلوبهم، خاصة وأنها توقعات مبنية على شفا جرف هار من الظنون والخيالات، فأحرى بها أن تُنْبَذَ نَبْذَ النواة، ولا شك أن هذه الكتابات تُصَادِمُ سنة النبي ﷺ في بعث الأمل في النفوس، فأين قوله ﷺ: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا»، من ذلك الذي يدعي أن (الجفر) المزعوم؛ الذي يستمد منه كثيرًا من دعاواه، يخبر بأن «الهيكل سَيُعَادُ بناؤه»[١].

وذاك الذي يحدد بالسنة والشهر واليوم موعد تفجير اليهود للمسجد الأقصى - صانه اللَّه من كل سوء -، وأن الهيكلَ يُبْنَى على أنقاضه[٢]، وثالث يزعم أن الغربَ سيحتلُّ تركيا، ويسترجع القسطنطينية عام (١٩٩٩م) لمدة أشهر، ورابع يقول: «فحصار العراق قد أعقبه حصار الشام (فلسطين)، وقد يمتد الحصار قريبًا إلى سوريا ولبنان، واللَّه أعلم»[٣].

(١) «المفاجأة»، ص (٣١٦).
(٢) «أسرار الساعة»، ص (١٣٤ - ١٣٦).
(٣) «هرمجدون»، ص (٢٥).

العُجْبُ وَالاِغْتِرَارُ بِالظُّنُونِ

ومع عبث هؤلاء القوم بأشراط الساعة، وقولهم على الله بغير علم، نجدهم موقنين بهذه الأفكار، جازمين بها، حتى يقولَ أحدهم:

«أستطيع أن أحلف ـ ولا أستثني ـ أن ملاحم آخر الزمان؛ والتي تبدأ بالحرب العالمية الثالثة والأخيرة «هرمجدون» ـ قد كشرت عن أنيابها، وشَمَّرت ساعديها، وكَشَفَتْ عن ساقيها»[١]، ويشكو من أنه لم يسلم من «شغب الصبية[٢]»؛ أي معارضيه؛ فهم يستقصرون أفهام مخالفيهم، ويسخرون ممن لا يتقبل خرافاتِهِمْ، ويَشُكُّ فيها.

فهذا صاحب «أسرار الساعة» يصف المنكرين عليه بالمرجفين، والمتشككين، ويقول: «لقد كان الواقع المعاصر والمعاش شاهدَ إثباتٍ على صحة كل ما ورد في هذا الكتاب من روايات وأحاديث[٣]؛ ولهذا تمكنتُ بتوفيق الله من إزاحة الستار عن أكثر الأسرار خطورةً؛ إنها أسرار النهاية وقيام الساعة؛ لقد تفككت أمامي ـ وبكل سهولة ـ أكثر الرموز المستعصية في روايات الفتن والملاحم وأشراط الساعة، لقد رأيت أمامي خيوط المؤامرة، وكشفتُ أبعادها السرية والعلنية؛ ولهذا سيجدُ القارئ في هذا الكتاب تحديدَ الزمان والمكان للملاحم، ويجد أسماء بعض قادة الفتن في آخر الزمان وزعماء آخرين، والجميع قادة سياسيون معاصرون، ولكن الرسول ﷺ قد وصفهم لنا[٤]»... إلخ.

---

(١) «هرمجدون»، ص (٧)، وانظره ص (١١٩)؛ حيث قال: «أحلف، ولا أستثني أن أولى جولاتها بدأت بالفعل»، وقد دافع عن هذا «القَسَم» مستدلًا بقَسَم بعض الصحابة على أن ابن صياد هو الدجال، فانظر الرد عليه في «فتح الباري»، (١٣/٣٢٥ ـ ٣٢٧).

(٢) «السابق»، ص (٤٧).

(٣) مع أنها أحاديث، وروايات ضعيفة، أو موضوعة، أو لا أصل لها، أو إسرائيليات، أو شيعيات، أو كهانة، وتنجيم، واعتماد على حساب الحروف.

(٤) «أسرار الساعة»، ص (١٥).

ثم يُطْرِي كتابه قائلًا:

«ولا أريد أن أُطِيلَ، فهذا الكتاب بين أيديكم، وقد كفيتكم الرد عليه بأفصح لغة علمية، وهي لغة الأرقام، وبأقوى وأصدق المواعيد وهي التاريخ، وليس على المرجفين أو المتشككين إلا الانتظار لعدة شهور فقط[1]، وتظهر الحقيقة أمام الجميع، إما مع الكتاب أو ضده، فعليهم الصمت والترقب حتى لا يحرموا غيرهم من فائدة مرجوة قبل ظهور آية الدخان، أو يظهر الدجّال في شخصيته المزعومة...»[2] اهـ.

ويحاول أحدهم أن يروج لأفكاره بالإشارة إلى «قرينة» وصفها بأنها «معتبرة عنده»، وهي أن رجلًا لا يعرفه أخبره أنه رأى رسول اللَّه ﷺ في رؤيا يبتسم له، ويعطيه كتاب «عمر أمة الإسلام»[3]، وذلك قبل صدور الكتاب بتسعين يومًا[4].

بل رأينا منهم من يتيه ويفتخر بأنه أول من «تشرف» باختراع بعض الهذيان المتعلق بالمسيح الدجال، والأطباق الطائرة[5]، ويثبت لنفسه أن لديه «براءة اختراع» هذه الأفكار، يقول محمد عيسى داود في جريدة «صوت آل البيت»:

(لم يعرف العالم كله - بفضل اللَّه - كاتبًا أو مفكرًا قال بنظرية وجود المسيح الدجّال في مثلث برمودة، وأنه صاحب الأطباق الطائرة سوى الكاتب الصحفي محمد عيسى داود...) إلى أن يقول: (ومعلوم للقاصي والداني أنني بصفتي الكاتب محمد عيسى داود عضو نقابة الصحفيين، والمستشار الإعلامي لمؤسسة أمل الإعلامية، الصاحب الأوحد لفكرة أن المسيح الدجّال هو مخترع الأطباق الطائرة، وأن له قلعة بمثلث برمودة، ولا يوجد كاتب في كل الدنيا قال بذلك غيري، وقد تعدى «فلان...»

---

(١) وقد انتظرنا أضعاف المدة التي استمهلنا إياها، وانكشف زيف أقواله، ولم يحدث من تنبؤاته شيء!

(٢) «السابق»، ص (١٦).

(٣) راجع فصل (سلطان المنامات)، ص (١٩٣ - ٢٣١)؛ لتعرف مدى حجية هذه القرينة.

(٤) «هرمجدون»، ص (٥٦).

(٥) وانظر بيان دعاواه مفصلة، ص (٦١١- ٦١٧).

بسرقة نتائج أبحاثي، وانتحلها لنفسه، وذلك ثابت بكتابين له تم إبلاغ النيابة العامة عنهما، وهي التي قامت بتحريك الدعوى ضده بتهمة السرقة الفكرية...) إلخ.

ثم يقول: (يكفيني فخرًا مئات بل آلاف القراء الذين يؤازرونني لعلمهم بالحقيقة، ويكفيني فخرًا شهادة الدكتور ... فلان، الذي شهد لي بأني رائد هذا المجال، وصاحب الفكرة، ومن عداي عالة عليَّ من الهواة والمقلدين)[١] اهـ. بتصرف.

وهو هو الذي وصف من يرفضون «اختراعاته» بأنهم «الأغبياء والضالون»[٢].

---

(١) عدد النصف الأول من نوفمبر ٢٠٠٠م، الموافق شعبان ١٤٢١هـ، ص (٥)، وباستطلاع أعداد من الجريدة، يتضح أنها شيعية التوجه؛ حيث تنشر مقالات من مفهوم شيعي، بما في ذلك سب بعض الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ، والترويج لمفاهيم رافضية منحرفة.

(٢) «احذروا»، ص (١٤٢).

تنبيه مهم

نشرت مجلة «أون لاين» في العدد (١٤) ـ نصف أكتوبر ٢٠٠١م، مقالًا أنحت فيه باللائمة على وكالة «رويترز» للأنباء لأنها التي نشرت شائعة تنبؤ «نوستردموس» بأحداث ١١ سبتمبر، ونسبت إلى «جون هوج» أحد المتخصصين في دراسة نبوءات «نوسترادموس» قوله: « يبدو أن صحافيي وكالة رويتر نسوا أبسط قواعد الصحافة المحترمة، ألا وهي التأكد من الحقائق قبل نشرها، الأمر الذي لم يفعله أحد»، وقد دعا الوكالة الشهيرة إلى الاعتذار عن خطئها، وتكذيب ذلك الخبر فورًا.

وذكرت المجلة أن طالبًا يدعى «نيل مارشال» كان قد صمم موقعًا له على شبكة الإنترنت باسم «التحليل النقدي لنوسترادموس» وقد نشر فيه عددًا من الرباعيات ونسبها إلى الفلكي الشهير، وحرص على أن يجعلها ذات لغة مراوغة ليسخر من فكرة التنبوء بالمستقبل، ووصل إلى استنتاج أن نصوص «نوسترادموس» يمكنها أن تعني كل شيء، وقد لا تعني شيئًا على الإطلاق.

ويقول محرر موقع «الأساطير الحضارية» Urban Legends :

«إن لغة نوسترادموس تجعل نصوصه قابلة للتفسير على أي وجه، يمكنك أن ترى فيها الحروب أو المآسي، أو الانتصارات، أو أي شيء تريد أنت رؤيته».

ثم تسخر مجلة Online من «نوسترادموس» وأشباهه وتتساءل: لماذا يستخدم المنجمون دومًا تلك اللغة المراوغة؟ إذا كانوا بحق قادرين على كسر حاجز الزمن والإبحار عبر المستقبل؛ فلماذا لا يقولون لنا ما سيحدث بوضوح وصراحه دون أن «يوجعوا دماغنا»؟!

انْعِدَامُ التَّوْثِيقِ الْعِلْمِيِّ

● **ومن مظاهر ذلك:**

تلك الكتب التي صنفها محمد عيسى داود، وملأها بالخرافات والهذاءات، وشحنها بالروايات المكذوبة، وجهر في صراحة يُحْسَد عليها بميوله الشيعية[١]، واعتماده على مصادر الشيعة المزعومة؛ كالجفر، وغيره، ثم مارس الدجل «العلمي» - إن جاز التعبير - بإيهام القراء بأن هناك مخطوطات «بالجملة» هي مصدر معلوماته، ثم يحكي عن مصادره «الموثوقة» - في زعمه، وهي أحوج شيء إلى التوثيق - أمورًا يحتاج من يصدقها إلى أن يكون غبيًا بدرجة كافية حتى تنطلي عليه.

يقول - مثلًا - تحت عنوان «نقطة على حرف» بعد أن أورد كثيرًا من خيالاته[٢] حول «المسيح الدجال»:

(قد يسأل قارئي الحبيب: وكيف اهتديت إلى كل هذه المعلومات بلا مصادر؟

وأقول: بل هناك مصادر، «فالقراءة الواعية»، ثم «استقراء الأحداث»، و«رفع درجات حدة الحدس والاستبصار»، ثم «التدبر» و«التأمل». ثم يصف هذه «المصادر» بأنها: «جهاز استقبال» لخواطر يمكن أن يقف أمامها التحليل العلمي والفلسفة عاجزين.

وكثير من «فكري» «ومضات من البرق» و«استنارات فجائية» إن لم أتداركها بالتسجيل أو التدوين تصبح بددًا بلا بقاء) اهـ[٣].

ويفتخر محمد عيسى داود بحيازته مخطوطاتٍ عجيبة انفرد بها[٤]، ويسوق في

---

(١) انظر نماذج من غلوه في علي ﷺ، وآل البيت - رضي الله عنهم - في كتابه «المفاجأة»، ص (٣٢ - ٥٦).
(٢) انظرها ص (٦١١- ٦١٧).
(٣) «احذروا المسيح الدجال يغزو العالم من مثلث برمودة»، ص (١٨٣).
(٤) «المفاجأة»، ص (٣٠٥)، (٦٤٤)، وقد قال القاري في «المشرب الوردي في مذهب المهدي»، =

موضع آخر أثرًا ادعى أنه في بعض المخطوطات الإسلامية الموجودة في دار الكتابخانة بتركيا تحت مسمى أو تصنيف (٣٦٦٤/تراث المدينة المنورة)، لعالم مدني كان يعيش بالمدينة المنورة في القرن الثالث الهجري وهو «كلدة بن زيد بن بركة المدني»، بعنوان «أسمى المسالك لأيام المهدي الملك لكل الدنيا بأمر اللَّه المالك»، ومما جاء في هذا المخطوط المزعوم:

«وحرب في بلد أصغر من عَجْب الذَّنَب، يجمع أهل الدنيا لها، كأنها أغنى بلد أولم عليها الوالمون، وأمير فيها سلَّم رايته لزعيمة الشر الآتية من الشواطئ البعيدة الغربية بداية آخر الزمن، فتجمع له صريخها من كل الدنيا، وترد له عرش الملك، ويخرب عراق في ملاحم بداية آخر الزمن، ويحارب أمير الذنب الصغير جيوش المهدي»[1].

وفي نفس المرجع السابق في مخطوط آخر من القرن الثالث الهجري، لتابعي شامي، وجاء في ذلك المخطوط «النادر»:

«وفي عراق الشأم رجل متجبر.. و .. سفياني، في إحدى عينيه كسل قليل، واسمه من الصدام، وهو صدام لمن يعارضه، الدنيا جمعت له في «كوت» صغير، دخلها وهو مدهون، ولا خير في السفياني إلا بالإسلام، وهو خير وشر، والويل لخائن المهدي الأمين»[2].

ومما جاء في «المخطوط» المزعوم:

«حربُ آخر الزمن حرب كونية، المرة الثالثة بعد اثنين كبريين، يموت فيهما خلائق كثيرة، الأولى أشعلها رجل كنيته السيد الكبير، وتنادي الدنيا باسم (هِتْلر)...، وهذا مما رواه أبو هريرة وابن عباس وعلي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنهم -، وفي رواية:

= «وقد صرح الإمام ابن الهمام بعد جواز النقل من غير الكتب المتداولة؛ سواء العلوم الأصلية، والفرعية»، نقله عنه في «خواطر دينية»، (٢/١٩).

(١) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (١٣٢).

(٢) «السابق»، ص (٢١٦).

خاف أن يحدث بها أبو هريرة، ولما أحس بالموت خاف أن يكتم علمًا، فقال لمن حوله: في نبإ علمته عما هو كائن في حروب آخر الزمن، فقالوا: أخبرنا ولا بأس ـ جزاك اللَّه خيرًا ـ، فقال: في عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، واعقدوا عقودًا، يرى ملكُ الروم أن حرب الدنيا كلها يجب أن تكون، فأراد اللَّه له حربًا، ولم يذهب طويل زمن، عقد وعقد، فسلط رجل من بلاد اسمها «جِرْمِن»، له اسم الهِرّ، أراد أن يملك الدنيا، ويحارب الكل في بلاد ثلج وخير، فأمسى في غضب اللَّه بعد سنوات نار، أرداه قتيلًا سِرُّ الروش أو الروس[١].

وفي عقود الهجرة بعد الألف وثلاث مئة، عُدَّ خمسًا أو ستًّا، يحكم مصر رجل يكنى «ناصر»، يدعوه العرب «شجاع العرب»، وأذلَّه اللَّه في حرب وحرب، وما كان منصورًا، ويريد اللَّه لمصر نصرًا له حقًّا في أحب شهوره، وهو له، فأرضى مصرَ ربُّ البيت والعرب بأسمر سادا، أبوه أنور[٢] منه لكنه صالح لصوص المسجد الأقصى بالبلد الحزين، وفي عراق الشأم رجل متجبر.. و.. سفياني..) إلى أن يقول:

«وفي عقود الهجرة الألف وأربع مئة، واعقد اثنين أو ثلاثًا.. يخرج المهدي الأمين، ويحارب كل الكون، يجمعون له الضالون والمغضوب عليهم، والذين مردوا على النفاق في بلاد الإسراء والمعراج، عند جبل مَجِدُّون، وتخرج له ملكة الدنيا والمكر، زانيةٌ اسمها «أمريكا»، تُراود العالم يومئذ في الضلال والكفر، ويهود الدنيا يومئذ في أعلى عليين، يملكون كل القدس والمدينة المقدسة»... إلخ[٣].

وقال ـ أيضًا ـ: (وقد وقعت على نص توراتي في سفر أشعياء الحقيقي، به تفاصيل أكثر أورده بلا تعليق، ففي نسخة الفاتيكان يقول النص:

---

(١) ولمزيد من التحقيق، والتوثيق، قال في هذا الموضع: الشك من الراوي، ومكان النقط مطموس متآكل في المخطوطة!!

(٢) أحسب أن اسم «محمد أنور» مركب؛ فليس «أنور» اسم أبيه.

(٣) «المهدي المنتظر على الأبواب»، ص (٢١٦).

«وجاءوا إلى سيناي، وحاربوا الملك المصري الذي كان خاسرًا في مواجهتهم، وكل الخيانة كان خدعة نصر لإسرائيل.. وجاء ملك أسمر اللون، رأسه حاسر من الشعر، له أسود ونسور، فانتصر على إسرائيل، وكلمهم أن يكونوا أصدقاء، وسلام عَمَّ كل المصريين، ولكن ملكهم أسمر اللون أضحى شهيدًا..» إلى أن قال: «وحراسه كانوا الذين اغتالوه، وكانوا شرارًا وتجارًا»[1].

وقد اغتر به «حاطب ليل»، فاتخذ الغرابَ دليلًا، ومارس ـ مثله ـ هواية التهويش بأن لديه مراجع «بالجملة»، ودون إحراج بطلب ذكر التفاصيل، فقال في مقدمة كتابه:

«كما ينبغي التنبيه على أنَّ ثمة مخطوطات نادرة لم تطبع تحوي أضعاف الأحاديث المعروفة، سواء في الكتب المشهورة والغير مشهورة، محفوظة في المكتبات العالمية، كمخطوطات، منها ما هو موجود في المكتبة العراقية الكبرى ببغداد، ومنها في دار الكتابخانة بإسطنبول بتركيا، وكذلك مكتبة التراث في «طنجة»، ومنها في مكتبة دار الكتب القديمة بالرباط، ومنها بمكتبة بحرة الشام؛ وهي دمشق، في الجامع الأموي، هذا غير كثير من المخطوطات الإسلامية النادرة الموجودة في الفاتيكان، مكتبة البابا»[2].

ومن مغالطات هذا المقلِّد قوله:

«كما أن كثيرًا من أحداث الفتن وملاحم آخر الزمان وردت في أحاديث وآثار غير مشهورة، مثبتة في مخطوطات وكتب ليست سهلة المنال، فكذلك حال الآثار التي بها توجيهات نبوية، ونصائح غالية تستبين بها سبيل النجاة، ولذلك خَفِيت على أكثر الناس قديمًا وحديثًا، إلا من اختصه الله ـ تعالى ـ بعلمها، حتى يبثها وينشرها إذا جاء وقتها، وحان أوانها».

---

(١) «السابق»، ص (١٢٢).

(٢) «هرمجدون، آخر بيان يا أمة الإسلام»، ص (١١)، ونقول تعليقًا على هذا «التهويش»، ما زِدتَ على أن قلت: «في المكتبات مخطوطات»، فكان ماذا؟! وأين صور هذه المخطوطات، وأرقامها، وتوثيقها؟!! خاصَّة، وأنها تتحدث عن أمور غيبية خطيرة؟

ثم ذكر أنه بعد أن يستدل بالأحاديث والآثار المشهورة يُثَنِّي «بتلك الآثار الخفية غير المشهورة، مع عدم التشديد في اعتبارات مدى صحة أو ضعف الأثر من ناحية السند؛ إذ إنها نصائح وإرشادات[١] من باب فضائل الأعمال التي يتساهل العلماء في قبول أحاديثها وآثارها، وإن كانت ضعيفةَ السند، مع الأخذ في الاعتبار أن ضعف سندها ليس شديدًا ولا موضوعًا، ثم إنها قد جاءت من أكثر من طريق؛ مما يجعلني مطمئنًا لإيرادها وذكرها» اهـ.

مِنْ فَمِكَ أُدِينُكَ

ومن مغالطات هذا المقلِّد قوله معلقًا على الأثر الذي ادعى أن أبا هريرة كان يكتمه ثم بثه: «وقد قلت في «قبل البيان» إنني سأورد بعض الآثار العجيبة معزوة إلى مصادرها، منسوبة إلى قائليها، جاعلًا عهدتها على قائليها، ولولا أنني أقبلها ما أوردتها»، ثم أضاف ـ إمعانًا في المغالطة ـ أن أبا هريرة ﷺ كان من أحفظ الصحابة لحديث رسول الله ﷺ... إلخ،[٢] وتجاهل أن عليه أن يثبت ابتداءً صحة السند إلى أبي هريرة ﷺ؛ لأننا لن نؤتى من صحابي قط، فالصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم عدول، وأبو هريرة ﷺ من أعدلهم وأضبطهم.

الِاسْتِدْلَالُ بِمَا لَا يَصْلُحُ دَلِيلًا

١- الِاسْتِدْلَالُ بِالْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالْمَوْضُوعَةِ

وهذه الآفة «قاسم مشترك» بين الخائضين بالظن في أشراط الساعة، فهم يوردون

(١) وهل التزمتَ التوثيق، والتحقيق يا عبدالله فيما ليس من فضائل الأعمال؛ كالإخبار عن الغيوب المستقبلة؟

(٢) «السابق»، ص (٤٠).

الأحاديث الضعيفة والباطلة، ثم يؤسسون عليها توقعاتٍ وأحكامًا، متناسين أن التفسير فرع التصحيح، ولو أعملنا قول بعض السلف: «أثبت العرش، ثم انقش»، لطرح ذلك عن كاهلنا عبئًا ثقيلًا من هذه المرويات الباطلة، ولأرحنا واسترحنا من عناء الجواب عما يطرأ بسببها من إشكالات، وتوقعات[1]، ولعل أشهر كتاب يعتمد عليه القوم هو كتاب «الفتن» للحافظ نعيم بن حماد المروزي، وهو مختلف فيه بين أهل العلم[2]، والذي يترجح لدى أكثرهم أنه ضعيف لا تقوم به حجة وحده، وقد روى البخاري عنه مقرونًا، وعَلَّق له، وقال عنه النسائي: قد كثر تفرده عن الأئمة المعروفين بأحاديث كثيرة، فصار في حد من لا يُحْتَجُّ به. وقال عنه مسلمة بن القاسم: له أحاديث منكرة في الملاحم، انفرد بها. وقال الذهبي: «نُعَيْمٌ من كبار أوعية العلم، لكن لا تركن النفس إلى رواياته، لا يجوز لأحد أن يحتج به، وقد صنف كتاب الفتن، فأتى به بعجائب ومناكير»[3].

إذا علمت هذا تبين لك خطأ مؤلف كتاب «هرمجدون»، الذي احتفل بكتاب أبي نعيم ـ رحمه الله ـ، ووصفه بأنه كتاب «بديع»[4]، «جمع فيه كوكبة هائلة من أحاديث الفتن، وملاحم آخر الزمان، يعز وجودها في مكان آخر»[5].

• ذِكْرُ نُصُوصِ بَعْضِ أَهْلِ العِلْمِ فِي حُكْمِ رِوَايَةِ الأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ وَالمَوْضُوعَةِ

قال العلماء: لا يحل رواية الحديث الموضوع في أي باب من الأبواب إلا مقترنًا

(١) وقد لمسنا أثر الأحاديث الضعيفة في رمضان الماضي (١٤٢٢هـ) حيث: كان بعض الشباب يجزم بأن «الفزعة سوف تحصل منتصف الشهر الكريم»؛ بناءً على الأحداث السياسية، والعسكرية الصاخبة في ذلك الوقت، مع ضعف الحديث الذي اتَّكَئُوا عليه، وانظر: «المفاجأة»، ص (١٨٥).

(٢) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير»، (٨/١٠٠)، «تاريخ بغداد»، (١٣/٣٠٦)، «ميزان الاعتدال»، (٤/٢٦٧-٢٧٠)، «تهذيب التهذيب»، (١٠/٤٥٨)، «هدي الساري»، ص (٤٤٧)، «شذرات الذهب»، (٢/٦٧)، «سير أعلام النبلاء»، (١٠/٥٩٥ ـ ٦١٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء»، (١٠/٦٠٠، ٦٠٩).

(٤) «هرمجدون»، ص (٨٠).

(٥) «السابق»، ص (١٠).

ببيان أنه موضوع مكذوب، سواء في ذلك ما يتعلق بالحلال والحرام، أو الفضائل، أو الترغيب والترهيب، أو القصص والتواريخ(١).

ومن رواه من غير بيان وضعه، فقد باء بالإثم العظيم، وَحَشَرَ نفسه في عداد الكاذبين؛ وذلك لما رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يرَى أَنَّهُ كَذِبٌ؛ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِين»(٢).

وحَكَمَ كثير من العلماء على من روى حديثًا موضوعًا ـ دون تنبيه إلى وضعه وتحذير الناس منه ـ بالتعزير والتأديب؛ فقد قال البخاري في حق أحد هؤلاء: «من حَدَّثَ بهذا؛ استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل»، بل قال يحيى بن معين ـ لما ذُكِرَ له حديث سويد الأنباري: «من عشق، وعف، وكتم، ثم مات ـ مات شهيدًا»، قال: هو حلال الدم»(٣).

وقال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: «أما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة؛ ليلبسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة ـ إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها ـ، فلا يجوز أن يُقَالَ بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «فالواجب أن يُفَرَّقَ بين الحديث الصحيح والحديث الكَذِبِ؛ فإن السنة هي الحق دون الباطل، وهي الأحاديث الصحيحة دون الموضوعة، فهذا أصل عظيم لأهل الإسلام عمومًا، ولمن يدعي السنة خصوصًا»(٥).

وقال ـ أيضًا ـ: «الاستدلال بما لا تُعلم صحته لا يجوز بالاتفاق؛ فإنه قول بلا علم،

(١) انظر: «علوم الحديث»، لابن الصلاح، ص (١٠٩)، و«تدريب الراوي»، ص (٩٨).

(٢) رواه مسلم (٤) في المقدمة.

(٣) انظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص (٢٩).

(٤) «ذم التأويل»، ص (٤٧).

(٥) «مجموع الفتاوى»، (٣/٣٨٠).

وهو حرام بالكتاب، والسنة، والإجماع»[١].

وقال الشوكاني ـ رحمه الله ـ: «إن الأحكام الشرعيةَ متساويةُ الأقدام، لا فرقَ بينها، فلا يحلُّ إذاعةُ شيء منها إلا بما يقوم به الحجة، وإلا كان من التقول على الله ما لم يَقُلْ، وفيه من العقوبة ما هو معروف»[٢].

٢ـ الِاعْتِمَادُ عَلَى مَرْوِيَّاتِ الرَّافِضَةِ، وَغُلَاةِ الصُّوفِيَّةِ

ـ كاعتماد بعضهم على كتاب «عنقاء مُغْرِب»، لابن عربي الصوفي، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ تعالى ـ: «وابن عربي في كتاب «عنقاء مُغْرِب» وغيره أخبر بمستقبلات كثيرة، عامتها كذب»[٣].

ـ ومن ذلك ما زعمه محمد عيسى داود من أن عليًّا رضي الله عنه تلقى العلوم الظاهرة والباطنة من النبي ﷺ[٤]، وكذا الأسرارَ الغيبيةَ المتعلقةَ بكل ما يحدث في العالم حتى يوم القيامة، ثم إن عليًّا لَغَّزَ[٥] هذه العلوم بالرموز، والحروف المقطعة، والأشكال الخاصة، وادَّعى أن ذلك لا يطلع عليه إلا ورثة علم سيدنا علي من آل البيت الشريف[٦].

ـ وزعم ـ أيضًا ـ أن أهل البيت توارثوا كتاب «الجامعة»، وادَّعى أنه إملاء من رسول الله ﷺ، وخط علي رضي الله عنه[٧].

---

(١) «منهاج السنة النبوية»، (٧/٦٧ ـ ٦٨).

(٢) «الفوائد المجموعة»، ص (١٠٠).

(٣) «مجموع الفتاوى»، (٤/٨١).

(٤) وهذا أحد مظاهر التزاوج بين الشيعة، والصوفية، انظر: «قطر الولي»، ص (٨٠ ـ ٨١).

(٥) وتساءل: «هل يمكن أن تكون هذه القوانين مصاغة في صورة كلمات، وجمل، هي رموز، و«شفرات»؟ وسمَّى هذا الفعل المُفْتَرَى على علي رضي الله عنه «التلغيز الكريم»، و«التشفير العظيم»، وزعم أنه كان بتوجيه المصطفى ﷺ، انظر كتابه «المفاجأة»، ص (٦١).

(٦) «المفاجأة»، ص (٥٨ ـ ٥٩)، وقد نشر بداخل الكتاب دائرة فيها، رموز، وطلاسم، ورسوم غريبة أشبه ما تكون بما يرسمه الدجالون، وصناع الأحجبة!

(٧) «السابق»، ص (٥٦).

ـ وادَّعى ـ أيضًا ـ حجية «الجفر» المزعوم[١]، وذكر استدلالات منه على إعادة بناء الهيكل اليهودي[٢].

ـ وقال في شأن «الجفر»:

(وفي الجفر الكبير «الأحمر» علوم صريحة واضحة الأحداث والمعالم، و«الجفر الصغير» مجموعات علوم، وتنبؤات ملغزة بقواعد علم الحرف، تلك العلوم الشديدة الخصوصية، والتي لا يعرفها إلا ندرَةٌ من أهل العلم)[٣].

فيا أسفا على مصنفين من أهل السنة، يُخدعون بمثل هذا الإنسان، ويرتضونه لهم قائدًا:

أَعْمَى يَقُودُ بَصِيرًا لَا أَبَا لَكُمُ   قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتِ الْعُمْيَانُ تَهْدِيهِ

٣ـ الْغُلُوُّ فِي تَقَبُّلِ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ[٤]

تمتلئ كتب «العابثين بأشراط الساعة» بعشرات الأخبار الإسرائيلية المنقولة عن كتب اليهود والنصارى، وقد فصَّل العلماء الموقفَ من هذه الإسرائيليات، وبينوا أنها على ثلاثة أقسام:[٥]

---

(١) «السابق»، ص (٥٧)، وراجع ص (٣٨٩)، ص (٦٦٧ـ ٦٦٩).

(٢) «السابق»، ص (٣١٦)، وما بعدها.

(٣) «المفاجأة»، ص (٦١).

(٤) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية؛ نسبة إلى بني إسرائيل؛ والنسبة في مثل هذا تكون لعجز المركب الإضافي، لا لصدره، وإسرائيل هو يعقوب ـ عليه السلام ـ؛ أي: عبدالله؛ وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد إلى عهد موسى، ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى ـ عليه السلام ـ، وحتى عهد نبينا محمد ﷺ، وانظر: «الإسرائيليات، والموضوعات في كتب التفسير»، ص (٢١).

(٥) انظر: «التفسير والمفسرون»، (١/١٦٥ ـ ١٨٣)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير»، ص (١٥٠ ـ ١٥٦).

القِسْمُ الأَوَّلُ:

ما علمنا صحته مما بأيدينا من القرآن والسنة، والقرآن هو الكتاب المهيمن، والشاهد على الكتب السماوية قبله، فما وافقه فهو حق وصدق، وما خالفه فهو باطل وكذب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٨].

وهذا القسم صحيح، وفيما عندنا غُنْيَةٌ عنه، ولكن يَجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، ولإقامة الحجة عليهم من كتبهم؛ وذلك مثل ما ذكر في صاحب موسى ـ عليه السلام ـ، وأنه الخَضِرُ، فقد ورد في الحديث الصحيح، ومثل ما يتعلق بالبشارة بالنبي ﷺ، وبرسالته، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياءِ؛ مما غفلوا عن تحريفه، أو حرفوه، ولكن بقي شعاع منه يدل على الحق.

وفي هذا القسم: ورد قوله ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١)، قال الحافظ في «الفتح»: «أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تَقَدَّمَ منه ﷺ الزجرُ من الأَخذ عنهم، والنظرِ في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكان النهي وقع قبل استقرار الأَحكام الإسلامية، والقواعد الدينية، خشيةَ الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأَخبار التي كانت في زمنهم من الاعتبار»(٢).

(١) رواه البخاري، (٣٤٦١)، (٦/٤٩٦ ـ فتح).

(٢) «فتح الباري»، (٦/٤٩٨).

الْقِسْمُ الثَّانِي:

ما علمنا كذبه مما عندنا مما يخالفه؛ وذلك مثل ما ذكروه في قصص الأنبياء، من أَخبار تطعن في عصمة الأَنبياء - عليهم الصلاة والسلام -؛ كقصة يوسف، وداود، وسليمان، ومثل: ما ذكروه في توراتهم: من أن الذبيح إسحاق، لا إسماعيل، فهذا لا تجوز روايته وذكره إلا مقترنا ببيان كذبه، وأَنه مما حرفوه، وبدلوه، قال - تعالى -: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة: ٤١].

وفي هذا القسم: ورد النهى عن النبي ﷺ للصحابة عن روايته، والزجر عن أَخذه عنهم، وسؤالهم عنه، قال: الإمام مالك - رحمه اللَّه - في حديث: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»: المراد جواز التحدث عنهم بما كان من أَمر حَسَنٍ: أَما ما عُلِمَ كَذِبُهُ فلا[1].

ولعلَّ هذا هو المراد من قول ابن عباس - رضي اللَّه عنهما -: «يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابكم الذي أُنزل على رسول اللَّه ﷺ أحدثُ[2] الأخبار باللَّه، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ؟[3].

وقد حدَّثكم اللَّه أن أهل الكتاب بدَّلوا كتاب اللَّه، وغيَّروه، وكتبوا بأيديهم الكتاب، وقالوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩]، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، ولا واللَّه ما رأينا منهم رجلًا قطُّ يسألكم عن الذي أُنزل عليكم»[4].

---

(١) «السابق»، ص (٦/٤٩٨ - ٤٩٩).

(٢) أحدث آخر الكتب السماوية نزولًا من عند اللَّه - تعالى - ، وفي رواية: «أحدث الأخبار باللَّه».

(٣) لم يُشَب: لم يُخْلَط بغيره قط؛ لأنه محفوظ من التبديل، والزيادة وفي رواية: «تقرءونه محضًا لم يُشَب»

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢٦٨٥)، (٥/٢٩١ - فتح)، (٧٣٦٣)، (١٣/٣٣٣ - ٣٣٤).

الْقِسْمُ الثَّالِثُ:

ما هو مسكوت عنه، لا من هذا، ولا من ذاك، فلا نؤمن به، ولا نُكَذِّبُهُ؛ لاحتمال أَن يكون حقًّا فنكذبه، أَو باطلا فنصدقه، ويجوز حكايته لما تقدم من الإذن في الرواية عنهم[١].

ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة، قال: «كان أَهل الكتاب يقرءُون التوراة بالعبرانية. ويُفَسِّرُ بالعربية لأَهل الإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... الآية [العنكبوت: ٤٦][٢]، ومع هذا: فالأولى عدم ذكره، وأَن لا نضيع الوقت في الاشتغال به[٣]، قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ: (وَرَدَ حديث أَخرجه الإمام أحمد، وابن أَبي شيبة والبزار، من حديث جابر: أن عمر أَتى النبي ﷺ بكتاب أَصابه من بعض أَهل الكتاب، فقرأَه عليه، فغضب، وقال: «لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ، فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»، ورجاله موثقون: إلا أَن في مجالدِ ـ أحدِ رواته ـ ضَعْفًا، وأَخرج البزَّارُ ـ أَيضًا ـ، من طريق عبداللَّه بن ثابت الأَنصاري: أَن عُمَرَ نسخ صحيفة من التوراة، فقال: رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ»، وفي سنده جابر الجعفي، وهو ضعيف، واستعمله ـ يعني البخاري ـ في الترجمة لورود ما يشهد بصحته من الحديث الصحيح)[٤].

---

(١) انظر: «نظم الدرر في تناسب الآيات والسور»، للإمام المفسر برهان الدين البقاعي، (١/٢٧٢ ـ ٢٧٧).

(٢) رواه البخاري (٧٣٦٢)، (١٣/٣٣٣ ـ فتح).

(٣) وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني مما أبهمه اللَّه ـ تعالى ـ في القرآن، ولا فائدة في تعبنه تعود على المكلفين في دينهم، أو دنياهم.

(٤) «فتح الباري»، (١٣/٣٣٤)، وانظره: (١٣/٥٢٥).

قال ابن بَطَّال عن المهلب: «هذا النهي في سؤالهم عما لا نصَّ فيه؛ لأَن شرعنا مُكْتَفٍ بنفسه، فإذا لم يُوجَدْ فيه نص، ففي النظر والاستدلال غِنًى عن سُؤَالِهِم، ولا يدخل في النهي سؤالهم عن الأَخبار المصدقة لشرعنا، والأَخبار عن الأُمم السالفة»[١].

● **تَشْدِيدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ رضي الله عنه عَلَى مَنْ كَانَ يَكْتُبُ شَيْئًا مِنْ كُتُبِ الْيَهُودِ:**

وقد كانت مَقَالَةُ النبي ﷺ لعمرَ رضي الله عنه، وغضبه لكتابته شيئًا من التوراة، درسًا تعلم منه سيدنا عمر، ومنهجًا أَخذ الناس به؛ فقد روى الحافظ أَبو يعلى، بسنده، عن خالد ابن عرفطة قال: «كنت جالسا عند عمرَ، إِذ أُتي برجل من عبدالقيس، مسكنه بالسوس، فقال له عمر، أنت فلان بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأَنت النازل بالسوس؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه. فقال الرجل: ما لي يا أَمير المؤْمنين؟!. فقال له عُمَرُ: اجْلِسْ، فَجَلَسَ، فقرأ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف: ١-٣]، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال له الرجل: ما لي يا أَمير المؤمنين؟! قال: أَنت الذي نسخت كتاب دانيال[٢]، قال: مُرْني بأَمرك أَتَّبِعْهُ، قال: انطلق فامحه بالحميم[٣]، والصوف الأَبيض، ثم لا تقرَأْهُ، ولا تُقْرِئْهُ أَحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أَنك قرأته، أَو أَقرأته أَحدًا من الناس لأُنهكنك عقوبة، ثم قال: اجلس، فجلس بين يديه، فقال: انطلقتُ أَنا فانتسختُ كتابًا من أَهل الكتاب، ثم جئت به في أَديم[٤]، فقال لي رسول الله ﷺ: «مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟» قلت: يا رسولَ اللَّه، كتابٌ نسختُهُ لنزداد به علما إلى علمنا، فغضب رسول اللَّه ﷺ، حتى

---

(١) «فتح الباري»، (١٣/٣٣٤)، وانظره: (١٣/٥٢٥).

(٢) أحد أنبياء بني إسرائيل.

(٣) الحميم: الماء الحار.

(٤) الأديم: الجلد.

احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بـ«الصَّلاةُ جَامِعَةٌ»، فقالت الأَنصار: أَغضب نبيُّكم؟ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله ﷺ فقال: «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، فَلَا تَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ»[1]. قال عمر: فقمتُ، فقلتُ: «رضِيت بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسول الله ﷺ.

وروى الحافظ أَبو بكر الإسماعيلي بسنده عن جبير بن نفير: أَن رجلين كانا بحمص في خلافة عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ، فأُرسل إليهما فيمن أَرسل من أَهل حمص، وكانا قد اكتتبا من اليهود شيئًا في صحيفة، فأَخذاها معهما يستفتيان فيها أَمير المؤمنين عمر، فلما قدما عليه قالا: إنا بأَرض أَهل الكتاب، وإنا نسمع منهم كلامًا تقشعرُّ منه جلودنا، أَفنأْخذ منه ونترك؟ فقال سأُحدثكما... ثم ذكر قصته لما كتب شيئًا أعجبه من كلام اليهود، وقرأه عليه، فغضب الرسول، وصار يمحوه بريقه، ويقول: «لَا تَتَّبِعُوا هَؤُلَاءِ، فَإِنَّهُمْ قَدْ هَوَّكُوا، وَتَهَوَّكُوا»[2]، حتى محا آخرَهُ، حَرْفًا حَرْفًا، ثم قال عمر: «فلو علمت أنكما كتبتما منه شيئا جعلتكما نَكالًا لهذه الأمة» قالا: «والله ما نكتبُ منه شيئًا»، ثم خرجا بصحيفتهما، فحَفَرَا لها، وعَمَّقَا في الحفر، ودفناها، فكان آخر العهد منها[3].

ونقل الحافظ في «الفتح» عن الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ قوله في حديث: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ»: «من المعلوم أَن النبي ﷺ لا يُجيزُ التحدث بالكذب؛ فالمعنى: حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كَذِبَهُ، وأَما ما تجوزونه فلا حرج عليكم في التحدث به عنهم، وهو نظير قوله: «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا

---

(١) المتهوك: المتحير الشاكُّ.

(٢) أي شَكُّوا، وشككوا غيرهم.

(٣) «تفسير القرآن العظيم»، للحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ (٤/٤١٢ ـ ٤١٣)، ط. المنار.

تُكَذِّبُوهُمْ»، ولم يرد الإذن[1]، ولا المنع من التحدث بما يقطع بصدقه»[2].

وقال: الحافظ في الفتح في حديث: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ...»: (أي إذا كان ما يخبرونكم به مُحْتَمَلًا؛ لئلا يكون في نفس الأَمر صدقًا فتكذبوه، أو كذبًا فتصدقوه، فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه، نَبَّهَ على ذلك الشافعي ـ رحمه اللَّه ـ، ويؤْخذ من هذا الحديث: التوقف عن الخوض في المشكلات، والجزم فيها بما يقع في الظن، وعلى هذا: يُحْمَلُ ما جاءَ عن السلف من ذلك)[3]. اهـ.

وبهذا البيان والتوفيق بين المرويات في هذا الباب: ظهر أَن لا تعارض بينها، ولا يخالف بعضها بعضًا، وأَن لكل حالة حكمها.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ تعالى ـ: (الاختلاف في التفسير على نوعين: منه ما مستنده النقل فقط، ومنه ما يُعْلَمُ بغير ذلك؛ إذ العلم: إِما نقل مُصَدَّق، وإِما استدلال مُحَقَّقٌ.

والمنقول: إما عن المعصوم، وإما عن غير المعصوم. والمقصود بأن جنس المنقول سواء كان عن المعصوم أو غير المعصوم ـ وهذا هو النوع الأَول ـ منه ما يمكن معرفة الصحيح منه؛ والضعيف، ومنه ما لا يمكن معرفة ذلك فيه، وهذا القسم الثاني من المنقول؛ وهو: ما لا طريقَ إلى الجزم بالصدق منه ـ فالبحث عنه مما لا فائدة فيه، والكلام فيه من فضول الكلام، وأَما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته: فإن اللَّه نصب على الحق فيه دليلًا.

فمثال ما لا يفيد، ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في أَحوال «أَصحاب

(١) أي: «فيما عُلِم كَذِبُه»؛ لتستقيم العبارة.

(٢) «فتح الباري»، (٦/٤٩٩).

(٣) «فتح الباري»، (٨/١٧٠).

الكهف» وفي «البعض» الذي ضَرَبَ به موسى من البقرة، وفي مقدار «سفينة نوح»، وما كان خَشَبُهَا، وفي اسم «الغلام» الذي قتله الخَضِرُ، ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها: النقل، فما كان من هذا منقولًا نقلًا صحيحًا عن النبيِّ ﷺ؛ كاسم صاحب موسى أنه الخَضِرُ - فهذا معلومٌ، وما لم يكن كذلك، بل كان مما يُؤْخَذُ عن أهل الكتاب؛ كالمنقولِ عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم؛ ممن يأخذ عن أَهل الكتاب، فهذا لا يجوز تصديقه، ولا تكذيبه إلا بحجة[1]، كما ثبت في الصحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ، وَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ».

وكذلك: ما نُقِلَ عن بعض التابعين، وإن لم يَذْكُرْ أنه أَخذه عن أَهل الكتاب، فمتى اختلف التابعون لم يكن بعضُ أقوالهم حجةً على بعض، وما نُقِلَ في ذلك عن بعض الصحابة نقلًا صحيحًا، فالنفس إليه أَسكن مما نُقِلَ عن بعض التابعين؛ لأَن احتمال أَن يكون سمعه من النبي ﷺ، أَو من بعض من سمعه منه أَقوى، ولأن نقل الصحابة عن أهل الكتاب أقل من نقل التابعين، ومع جزم الصاحب فيما يقوله، كيف يُقَالُ: إنه أَخذه عن أَهل الكتاب وقد نهوا عن تصديقهم[2]؟!، والمقصود أَن الاختلاف الذي لا يُعْلَمُ صحيحه، ولا تفيد حكايةُ الأَقوال فيه: هو كالمعرفة؛ لما يُرْوَى من الحديث الذي لا دليل على صحته، وأَمثال ذلك. وأَما القسم الأَول الذي يمكن معرفة الصحيح منه، فهذا موجود فيما يُحْتَاجُ إليه، وللّه الحمد)[3]. اهـ.

وقال في موضع آخر: (وغالب ذلك - يعني المسكوت عنه - مما لا فائدة فيه يعود إلى أَمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أَهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين

---

(١) انظر: «الرد على البكري»، ص (٦).

(٢) والجواب عن ذلك: أنهم أخذوا عنهم لما فهموا من الإذن، والإباحة من قوله ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ»، مادام لم يدل دليلٌ على كذبه.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، ص (١٧ - ٢٠).

خلافٌ بسبب ذلك كما يذكرون في مثل هذا أَسماءَ أَصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى، من أَي الشجر كانت؟، وأَسماءَ الطيور التي أحياها اللَّه لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرِب به المقتول من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم اللَّه منها موسى، إلى غير ذلك؛ مما أَبهمه اللَّه في القرآن؛ مما لا فائدة في تعيينه تعود على المُكلَّفِينَ في دنياهم، ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز؛ كما قال ـ تعالى ـ: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأَدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا؛ فإنه ـ تعالى ـ أَخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضَعَّفَ القولين الأولين، وسكت عن الثالث، فدلَّ على صحته؛ إذ لو كان باطلًا لرَدَّهُ كما رَدَّهُما، ثم أَرْشَدَ إلى أن الاطلاع على عدتهم لا طائل تحته؛ فَيُقَالُ في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾، فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس، ممن أَطلعه اللَّه عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا﴾؛ أي: لا تُجْهِدْ نفسك فيما لا طائلَ تحته، ولا تسأَلهم عن ذلك؛ فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب، فهذا أَحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أَن تُستوعبَ الأَقوال في ذلك المقام، وأن يُنبَّه على الصحيح منها، ويُبْطَلَ الباطل، وتُذْكَرَ فَائِدَةُ الخلاف، وثمرتُهُ؛ لئلا يطول النزاع، والخلاف فيما لا فائدة تحته، فَيُشْتَغَلَ به عن الأَهم، فأَما من حكى خلافًا في مسألة، ولم يستوعب أَقوال الناس فيها، فهو ناقص؛ إذ قد يكون الصواب في الذي تركه، أَو يحكي الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأَقوال، فهو ناقص ـ أَيضًا ـ، فإن صحح غير الصحيح عامدًا، فقد تعمد الكذبَ، أَو جاهِلًا، فقد أَخطأَ، كذلك من نصب الخلافَ فيما لا فائدةَ تحته، أَو حكى أَقوالًا متعددة لفظًا، ويرجع حاصلها إلى قول، أَو قولين معنى، فقد ضَيَّعَ الزمان، وتَكَثَّر مما ليس بصحيح، فهو كلابس ثَوْبَيْ زور، واللَّه الموفق للصواب)[1].

---

(١) «السابق»، (٤٦ ـ ٤٧).

مَوْقِفُ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ مِنَ الْقِسْمِ الثَّالِثِ مِنَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

قال ـ رحمه اللَّه ـ في مقدمة «البداية والنهاية»:

«ولسنا نَذْكُرُ من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع في نقله مما لا يخالف كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ، وهو القسمُ الذي لا يُصَدَّق ولا يُكَذَّب؛ مما فيه بسط لمختصر عندنا، أو تسمية لمبهم وَرَدَ به شرعنا، مما لا فائدةَ في تعيينه لنا، فنذكره على سبيل التحلي به، لا على سبيل الاحتياج إليه، والاعتماد عليه.

وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب اللَّه، وسنة رسوله ﷺ، ما صَحَّ نقله أو حسن، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنُهُ، واللَّه المستعانُ، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العزيز الحكيم، العلي العظيم»[(١)].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ مبينًا المقصود من قوله ﷺ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»: إنه «محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها عندنا، فليس عندنا ما يصدقها ولا ما يكذبها، فيجوز روايتها للاعتبار، وهذا هو الذي نستعمله في كتابنا هذا، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق، فلا حاجة بنا إليه؛ استغناءً بما عندنا، وما شَهِدَ له شرعنا منها بالبطلان فذاك مردودٌ لا يجوز حكايته، إلا على سبيل الإنكار والإبطال.

فإذا كان اللَّه ـ سبحانه ـ وله الحمد ـ قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر الشرائع، وبكتابه عن سائر الكتب، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط، وكَذِبٌ ووضع، وتحريفٌ وتبديل، وبعد ذلك كله نسخٌ وتغيير»[(٢)].

---

(١) «البداية والنهاية»، (١/٦).

(٢) «السابق»؛ (١/٦ - ٧).

تَعْلِيقُ الْعَلَّامَةِ أَحْمَد شَاكِر عَلَى كَلَامِ الْحَافِظِ ابْنِ كَثِيرٍ وَمَنْ وَافَقَهُ.

«إن إباحة التحدث عنهم فيما ليس عندنا دليل على صدقه ولا كذبه ـ شَيْءٌ، وذِكْرُ ذلك في تفسير القرآن، وجَعْلُهُ قَوْلًا أو رواية في معنى الآيات، أو في تعيين ما لم يُعَيَّن فيها، أو في تفصيلِ ما أُجْمِلَ فيها ـ شَيْءٌ آخر!!

لأن في إثبات مثل ذلك بجوار كلام اللَّه ما يوهم أن هذا الذي لا نعرف صدقه ولا كذبه مُبَيِّنٌ لمعنى قول اللَّه ـ سبحانه ـ، ومُفَصِّلٌ لما أُجْمِلَ فيه، وحاشا للَّه ولكتابه من ذلك.

وإن رسول اللَّه ﷺ إذ أذن بالتحدث عنهم ـ أَمَرَنَا أن لا نُصَدِّقَهُمْ ولا نُكَذِّبَهُمْ، فأيُّ تصديقٍ لرواياتهم وأقاويلهم أقوى من أن نقرنها بكتاب اللَّه، ونضعها منه موضع التفسير أو البيان؟! اللهم غفرًا».

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ:

«.. وفي القرآن غُنْيَةٌ عن كل ما عَدَاهُ من الأخبار المتقدمة؛ لأنها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة ونقصان، وقد وُضِعَ فيها أشياء كثيرة، وليس لهم من الْحُفَّاظِ المتقنين الذين ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين؛ كما لهذه الأمة من الأئمة والعلماء، والسادة والأتقياء، والبررة والنجباء، من الجهابذة النقاد، والْحُفَّاظ الجياد، الذين دَوَّنوا الحديث وحرَّروه، وبيَّنوا صحيحَه من حسنه من ضعيفه، من منكَره وموضوعه، ومتروكه ومكذوبه، وعرَّفوا الوضَّاعين، والكذَّابين، والمجهولين، وغير ذلك من أصناف الرجال، كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام المحمدي، خاتم الرُّسُل، وسيد البشر ﷺ أن يُنْسَبَ إليه كَذِبٌ، أو يُحَدَّثَ عنه بما ليس منه، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل».

وقال ـ رحمه اللَّه ـ عند تفسير الآيات (٥١ـ٥٦) من سورة الأنبياء، بعد إشارته إلى حال إبراهيم ـ عليه السلام ـ مع أبيه، ونظره إلى الكواكب والمخلوقات ـ: «وما قَصَّه

كثير من المفسِّرين وغيرِهم، فعَامَّتُها أحاديثُ بني إسرائيل، فما وافقَ منها الحقَّ مما بأيدينا عن المعصوم قَبِلْناه؛ لموافقته الصحيح، وما خالف منها شيئًا من ذلك رَدَدْناه، وما ليس فيه موافقةٌ ولا مخالفةٌ، لا نصدِّقه ولا نكذِّبه، بل نجعله وَقْفًا، وما كان من هذا الضَّرْب منها فقد رخَّص كثير من السلف في روايته، وكثيرٌ من ذلك مما لا فائدة فيه، ولا حاصلَ له مما يُنْتَفَع به في الدِّين، ولو كانت فائدتُهُ تعود على المكلَّفين في دينهم لبيَّنَتْهُ هذه الشريعةُ الكاملةُ الشاملةُ، والذي نَسْلُكُه في هذا التفسير الإعراضُ عن كثير من الأَحاديث الإسرائيلية؛ لما فيها من تضييع الزمان، ولما اشتَمل عليه كثيرٌ منها من الكذب المُروَّج عليهم؛ فإنهم لا تَفْرِقَةَ عندهم بين صحيحها وسقيمها، كما حَرَّره الأئمةُ الحفَّاظ المُتْقِنُون من هذه الأمة».

وقال عند تفسير الآية (١٠٢) من سورة البقرة: «وقد رُوي في قصة هاروتَ وماروتَ عن جماعة من التَّابعين؛ كمجاهد، والسُّدي، والحسن البصري، وقتادة، وأبي العالية، والزهري، والرَّبيع بن أنس، ومقاتل بن حيَّان، وغيرهم، وقصَّها خلقٌ من المفسِّرين، من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وحاصلُها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل؛ إذ ليس فيها حديثٌ مرفوع صحيح متَّصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهرُ سياق القرآن إجمالُ القصة من غير بَسْطٍ ولا إطنابٍ فيها، فنحن نُؤْمِنُ بما ورد في القرآن على ما أراده اللَّه ـ تعالى ـ، واللَّه أعلم بحقيقة الحال».

وقال في أول سورة ق: «وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق، جبل مُحيطٌ بجميع الأرض، يقال له جبل قاف!!! وكأنَّ هذا ـ واللَّه أعلم ـ من خرافاتِ بنى إسرائيل التي أخذها عنهم بعضُ الناس؛ لِمَا رأَى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدَّق ولا يكذَّب، وعندي أن هذا وأمثالَهُ وأشباهَهُ من اختلاقِ بعض زنادقتهم، يُلَبِّسُونَ به على الناس أمرَ دينهم؛ كما افْتُرِيَ في هذه الأمة ـ مع جلالة قدر علمائها، وحُفَّاظها،

وأئمتها ـ أحاديثُ على النبي ﷺ، وما بالعَهْدِ من قِدَم؛ فكيف بأمةِ بني إسرائيلَ، مع طول المدَى، وقلة الحفَّاظ النُّقَّادِ فيهم، وشُرْبِهِمُ الخمورَ، وتحريف علمائِهم الكلمَ عن مَوَاضعة، وتبديلِ كُتُب اللَّه وآياتِه، وإنما أباح الشارعُ الروايةَ عنهم في قوله: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ» ـ فِيمَا قد يُجَوِّزُه العقل، فأما فيما تُحِيلُه العقول، ويُحْكَم فيه بالبُطلان، ويَغْلُبُ على الظنون كذبُهُ، فليس من هذا القَبِيل».

وقال عند تفسير الآيات (٤١-٤٤) من سورة النمل، وقد ذكر في قصة ملكة سبإٍ أثرًا طويلًا عن ابن عباس، وَصَفَه بأنه «منكرٌ غريبٌ جدًّا»، ثم قال: (والأقربُ في مثل هذه السياقات أنها متلقَّاةٌ عن أهل الكتاب، مما وُجِدَ في صُحُفِهم، كروايات كَعْب، وَوَهْب، سامحهما اللَّه فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل، من الأوابد، والغرائب، والعجائب، مما كان، وما لم يكن، ومما حُرِّف، وبُدِّلَ، ونُسِخَ، وقد أغنانا اللَّه ـ سبحانه ـ عن ذلك بما هو أصحُّ منه، وأنفعُ، وأوضحُ، وأبلغُ، ولِلَّهِ الحمْدُ والمنَّة».

وقال عند تفسير الآية (٤٦) من سورة العنكبوت، بعد أن رَوَى الحديث: «إذا حدَّثكم أهلُ الكتابِ فلا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم»، قال: «ثُمَّ لْيُعْلَمْ أنَّ أكثرَ ما يتحدَّثون به غالبُهُ كذبٌ وبهتانٌ؛ لأنه قد دخله تحريفٌ، وتبديل، وتغيير، وتأويل، وما أقلَّ الصدقَ فيه! ثم ما أقلَّ فائدتَه لو كان صحيحًا!».

وقال عند تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف: «ثم أخبارُهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحتَهُ، بما دلَّ عليه الدليلُ من كتاب اللَّه، أو سنة رسوله؛ ومنها ما علمنا كذبَه؛ بما دلَّ على خلافه من الكتاب والسنة ـ أيضًا ـ، ومنها ما هو مسكوتٌ عنه، فهو المأذون في روايته، بقوله ـ عليه السلام ـ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»، وهو الذي لا يُصدَّق ولا يُكذَّب؛ لقوله: «فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ».

وهناك قصةٌ طويلةٌ جدًّا، رواها النسائي في باب التفسير من السنن الكبرى، التي لم نَرَها، وابنُ أبي حاتم في تفسيره، عن ابن عباس، ويسميها الحافظُ ابنُ كثير «حديثَ

الفُتُون»، ساقه بِطُوله عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾، من الآية (٤٠) من سورة طَه، ثم قال: «وهو موقوفٌ من كلام ابن عبَّاس، وليس فيه مرفوعٌ إلَّا قليلٌ منه، وكأنَّه تلقَّاه ابن عباس مما أُبيح نقله من الإسرائيليات، عن كعب الأحبار، أو غيره، واللَّه أعلم، وسمعتُ شيخَنا أبا الحجاج المزِّي يقول ذلك ـ أيضًا».

وهذا الحديثُ ـ حديثَ الفتون ـ يشيرُ إليه الحافظ ابن كثير، في مواضعَ متعددةٍ من تفسيره، وقد نفيتُه عن كتابي هذا نَفْيًا، ولم أُشِرْ إليه إلَّا مرةً واحدةً، عند أول مرة أشار إليه ابنُ كثير فيها، عند تفسير الآية (٤٩) من سورة البقرة، ثم أعرضتُ عن الإشارة إليه ـ إن شاء اللَّه ـ؛ فلا أُشِيرُ إليه إلَّا أنْ أُضْطَرَّ إلى ذلك اضطرارًا، وأسأل اللَّه التوفيق والتيسير، والهدى والسداد.

ومن أعظم الكَلِم في الدلالة على تنزيه القرآن العظيم عن هذه الأخبار الإسرائيلية ـ كلمةٌ لابن عباس، رواها البخاري في صحيحه، ونقلها عنه الحافظُ ابنُ كثير، عند تفسير الآية (٧٩) من سورة البقرة؛ فقال ابن عباس: «يا معشَرَ المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء، وكتابُكم الذي أنزل اللَّه على نبيِّه أحْدَثُ أخبارِ اللَّه، تقرءونه مَحْضًا لم يُشَبْ! وقد حدَّثكم اللَّه أنَّ أهل الكتابِ قد بَدَّلُوا كتابَ اللَّهِ وغيَّروه، وكتَبوا بأيديهم الكتابَ، وقالوا: هو من عند اللَّه؛ ليشتروا به ثمنًا قليلًا، أفَلَا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مُسَاءَلَتِهِم؟ ولا واللَّه ما رأينا منهم أحدًا قطُّ سألكم عن الذي أُنزل إليكم».

وهذه الموعظةُ القويةُ الرائعةُ، رواها البخاري في ثلاثة مواضعَ من صحيحِهِ: [٥:٢١٥، و١٣:٢٨٢، ٤١٤ من فتح الباري]. اهـ[1].

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ تعالى ـ، وهو يناقش حكم النظر في كتب أهل الكتاب: «والذي يظهر أن كراهية ذلك للتنزيه لا للتحريم، والأولى في هذه المسألة

(١) «عمدة التفسير»، (١/١٣ ـ ١٧).

التفرقة بين من لم يتمكن ويَصِرْ من الراسخين في الإيمان؛ فلا يجوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ؛ فيجوز له، ولا سيما عند الاحتياج إلى الرد على المخالف، ويدل على ذلك نقلُ الأئمة قديمًا وحديثًا من التوراة، وإلزامُهُمْ اليهودَ بالتصديق بمحمد ﷺ بما يستخرجونه من كتابهم، ولولا اعتقادهم جوازَ النظر فيه لما فعلوه، وتواردوا عليه»(١).

وقال علامة الشام محمد جمال الدين القاسمي ـ رحمه اللَّه ـ تعالى ـ بعد بحث طويل عن وقوع التبديل في كتب أهل الكتاب: (وبالجملة فكتب الكتابيِّين، كأقوالهم، لا يُعتمد عليها كلِّها؛ لظهور الكذب والتناقض فيها إلى اليوم، ولظهور تلفيقها؛ فهي ككتب القصص عندنا، فيها شيء من القرآن والسنة، ولكنه ممزوج بالأكاذيب والآراء المقتبسة من الأمم، ثم إن موافقة القرآن الكريم، أو الحديث الصحيح، لبعض ما في كتبهم دون بعض ـ تدل على أن اللَّه ـ تعالى ـ بَيَّنَ له حقَّ كلامهم من باطله، وصِدْقَهُ من كَذِبِهِ، وهذا معنى قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال بعضهم: «لا شيْءَ يُعَوَّلُ عليه في صِحَّةِ بعض أقوالِ كُتُبِ اليهود دون بعض، بعدما طَرَأَ عليها من الضياع، والتحريف، والخلط، إلا الوحي، وقد ثبتت نبوةُ محمَّدٍ ﷺ بالدلائل الساطعة، والآثار النافعة». انتهى؛ أي: فَعَلَى وحيه المُعَوَّل؛ فالحمد للَّه الذي وفقنا لاتباعه). اهـ(٢).

وَبَعْدُ:

فهذه أقسام الإسرائيليات، والموقف الصحيح من كل قسم منها، وعلينا الآن أن نتساءل:

هل المنهج الذي سَلَكَهُ العابثون بأشراط الساعة يعكس التزامهم بالضوابط التي

(١) «فتح الباري»، (١٣/٥٢٥ ـ ٥٢٦).
(٢) «محاسن التأويل»، (١/٥٠).

وضعها العلماء في حكاية الإسرائيليات؟ والجواب بالنفي:

أَوَّلًا: لأن مِن القوم مَن يروون كل ما يقفون عليه منها بغضِّ النظر عن هذا التقسيم.

ثَانِيًا: ولأن من يقتصرون على حكاية القسم الثالث منها[١] لا يذكرون ذلك استشهادًا وتحلية ـ على حد تعبير ابن كثير ـ، وإنما اعتقادًا، واستدلالًا، واحتجاجًا، بل منهم من يُقْسِمُ على صحة ما فيه، ومنهم من يُعَبِّرُ عن هذه «الإسرائيلياتِ» بالوحي القديم[٢].

وَثَالِثًا: لأنهم عامَّتهم ـ كما يتضح من كتاباتهم ـ ليسوا من الراسخين الذين يجوز لهم النظر في كتب أهل الكتاب، كما قال الحافظ ابن حجر[٣] ـ رحمه الله ـ؛ ولذلك تأتي أقوالهم ـ بل أقوال الواحد منهم ـ متعارضة متضاربة، يكذب بعضها بعضًا، وينقض آخرها أولها.

وَرَابِعًا: أن منهم من يتجاوز الاستشهاد بالإسرائيليات إلى الاستدلال بها، ثم يزيد الطين بلة حين يُضِيفُ إلى ذلك الاستدلال بتفسيرات علمائهم ومفكريهم لها، فإذا كانت هذه الإسرائيليات نفسها محل توقف في كونها وحيًا معصومًا أو لا، فهل هناك توقف أو تردد في أن علماءهم وأحبارهم ومفكريهم غارقون في التيه، والحيرة، والضلال المبين؟

---

(١) راجع ص (٦٤٦).

(٢) راجع ص (٦٢٠).

(٣) راجع ص (٦٥٦ ـ ٦٥٧).

ظَاهِرَةُ «التَّطْبِيعِ» مَعَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ

إن النقل عن أهل الكتاب لم يقف عند الحد المسموح به، وإنما خرج الأمر عن كونه استشهادًا مشروطًا بشروط إلى كونه «ظاهرةً ملحةً متكررةً»، أكسبت الإسرائيليات في نفوس العوام صفة المرجعية، ولأول مرة ترتقي الإسرائيليات ـ على يد هذه الكوكبة من رواد «التطبيع الفكري مع الإسرائيليات» ـ إلى مستوى الحجية والمصداقية، وإذا بالقوم يفخرون «بالتهوك»[(١)]، ويمعنون فيه حتى إنه لتؤلف كتب ممحضة للنقل من الإسرائيليات فحسب[(٢)]، مع نبذهم المصادرَ الإسلاميةَ وراءهم ظهريًّا؛ عن أبي عبيدةَ قال: «من شغل نفسه بغير المهم؛ أضرَّ بالمهم»

وإذا بالمناظرات الإسلامية النصرانية التي تجرى تحت ظل الهيمنة الثقافية الغربية في ديار الغرب تجوس أشرطتها السمعية والمرئية خلال بيوت المسلمين؛ لتمرن قلوبهم على سماع سب الله ـ عز وجل ـ، وشتم رسول الله ﷺ، والطعن في كتاب الله ـ تعالى ـ، والتطاول على دين الحق على لسان شياطينهم، ويُغَضُّ الطرف عن هذه الجرائم بحجة لزوم الإنصاف والعدل بين المتناظرين، مع أن غالب استدلالات المناظر المسلم تحوم حول الإسرائيليات، وقلما يستدلُّ بشيء من القرآن الكريم، أو السنة النبوية[(٣)].

---

(١) راجع حديث جابر بن عبدالله، ص (٦٤٦)، وحديث خالد بن عرفطة، ص (٦٤٧).

(٢) كما فعل صاحبا «تاريخ اليهود» في جزأين، و«موسى في الأساطير الإسرائيلية»، في ثلاث مئة صفحة، ليس فيها آية قرآنية واحدة، ولا حديث عن المعصوم ﷺ بل محض نقل من توراة اليهود، وإسرائيلياتهم، فالله المستعان.

(٣) وإن مما يؤسف له أشد الأسف استمراء هذا الوضع، وعدم إنكاره، لقد قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾، الآية: [آل عمران: ١٨٦]، وها نحن ـ الآن ـ نسمع الأذى من «بعض المسلمين» الذين يترجمون هذه المحاضرات الصوتية البصرية بما فيها من طعن، وسب لدين الإسلام، ويذيعونها في أوساط العوام بغير فقه، ونحن لا ننكر مناظرة أهل الكتاب؛ فإن هذا أحد أساليب الدعوة إلى الله، وإقامة الحجة، ولكن للمناظرة ضوابط، وكلما كانت في دائرة محدودة، كلما كانت أعون على الإقناع؛ كي لا تأخذ المجادل العزةُ بالإثم أمام جمهور الحاضرين؛ فيستكبر عن الانصياع للحق، ولابد أن يتولى المناظرة عن الجانب الإسلامي عالم =

وإذا أنكرت عليهم هذا «الإغراق» في إشاعة الإسرائيليات بادروا بذكر قول النبي ﷺ: «وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ»، وبأن العلماء أجازوا حكايةَ القسم الثالث من الإسرائيليات.

نقول: نعم يجوز ذلك، لكن **البياضَ إذا اشتد صار بَرَصًا**، فلماذا نبدأ من حيث انتهى بنا الشرع؟ ونجعل نقطة النهاية نقطة انطلاق إلى الإفراط في الاستدلال بالإسرائيليات، والتمحور حول كتبهم المُحَرَّفَةِ، الأمر الذي ينعكس سلبًا على ارتباط الناس بالقرآن الكريم، وسنة النبي ﷺ، والاعتماد عليهما في المحاججة.

إن من أسلحة «الصهيونية النصرانية» في حربها ضد الإسلام الترويجَ للتأويلات الباطلة لما لديهم من نبوءات، ومن خلال ذلك تمارس حربًا نفسيةً لتخذيل المسلمين، وتثبيط هممهم.

فأين ما نحن فيه الآن من «التطبيع مع الإسرائيليات»، وموقفنا «البارد» تجاهه من سلفنا الصالح الذين كانت الدماء تغلي في عروقِهِم إذا رأوا من ينشغل بهذه الكتب عن القرآن الكريم، كتابِ الله المعجزِ المهيمنِ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟

وما غَرَسَ في قلوبهم تلك الغيرةَ الإيمانيةَ على كتاب الله - عز وجل - إلا هَدْيُ رسول الله ﷺ، الذي وَرَدَ عنه أنه كان يغضب أشدَّ الغضب إذا وجد من أصحابه من يشتغل بكتب أهل الكتاب عن القرآن الكريم؛ فقد روى الإمام أحمد من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما -: «أن عمر بن الخطاب أتى النبي ﷺ

= فقيه بصير يحسن الاستدلال أولًا، وقبل كل شيء بأدلة القرآن، والسنة الصحيحة، وأن يكون مؤهلًا ذا خبرة بشبهات القوم؛ لأنه إذا رد ردًّا ضعيفًا زادهم فتنة بكفرهم، ثم ينبغي أن تحجب شبهات، وطعون المناظر الكافر عن عوام المسلمين؛ خشية أن تفتن قلوبهم بشبهات أعداء الله الذين يجهرون بالسوء من القول، ويحترفون التشويه، والتضليل للصد عن سبيل الله تعالى».

بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي ﷺ، فغضب، فقال: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».

قال الحافظ ـ رحمه الله ـ: «رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، ورجاله مُوَثَّقُون، إلا أن في مجالدِ ضعفًا». اهـ[1].

قال الألباني ـ رحمه الله ـ: «لكنَّ الحديثَ قَوِيٌّ؛ فإن له شواهدَ كثيرةً»، ثم ذكر بعضها ومنها: ما رُوي عن عقبةَ بن عامرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ فِيكُمْ مُوسَى، وَاتَّبَعْتُمُوهُ وَعَصَيْتُمُونِي، لَدَخَلْتُمُ النَّارَ».

ومنها: ما رُوِيَ عن خالد بن عرفطةَ قال:

«كنت جالسًا عند عمرَ رضي الله عنه، إذ أُتِيَ برجل من عبدالقيس سَكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: أنت فلانُ بن فلان العبدي؟ قال: نعم، قال: وأنت النازلُ بالسوس؟ قال: نعم، فضربَهُ بعصَاةٍ معه، فقال: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال له عمر: اجلس. فجلس، فقرأ عليه ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ ... الآية، فقرأها عليه ثلاثًا، وضربه ثلاثًا، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟ فقال: أنت الذي نسخت كتاب «دانيال»؟! فقال: مُرْنِي بأمرك أَتَّبِعْهُ. قال: انطلق فامْحُهُ بالحميم، والصوف الأبيض، ثم لا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس، فلئن بلغني عنك أنك قرأته، أو أقرأته أحدًا من الناس، لأُنْهِكَنَّكَ عقوبةً، ثم قال له: اجلسْ، فجلس بين يديه، فقال:

انطلقت أنا فانتسخت كتابًا من أهل الكتاب، ثم جئت به في أديمٍ، فقال النبي ﷺ: «مَا هَذَا فِي يَدِكَ يَا عُمَرُ؟»، قال: قلت: يا رسول الله، كتابٌ نَسَخْتُهُ لنَزْدَادَ به علمًا إلى

(١) «فتح الباري»، (٣٣٤/١٣).

علمنا؛ فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرت وجنتاه، ثم نُودِيَ بـ«الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ»، فقالت الأنصار: أَغَضِبَ نبيكم، هَلُمَّ السلاحَ السلاحَ، فجاءوا حتى أحدقوا بِمِنْبَرِ رسول الله ﷺ، فقال ﷺ: «يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِيمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ اخْتِصَارًا، وَلَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَا تَتَهَوَّكُوا، وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ». قال عمرُ: فقمتُ فقلتُ: رضيتُ بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبك رسولًا، ثم نَزَلَ رسولُ الله ﷺ».

ومنها: ما رُوِيَ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

«جاء عمرُ بجوامِعَ من التوراةِ إلى رسول الله ﷺ» ... الحديثَ، نحوَ روايةِ جابرٍ باختصارٍ، وفيه: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ كَانَ مُوسَى بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، لَضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا، أَنْتُمْ حَظِّي مِنَ الْأُمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ».

ومنها: ما رُوِيَ عن حفصةَ ـ رضي الله عنها ـ أنها: «جاءت إلى النبي ﷺ بكتاب من قِصَصِ يوسفَ في كنف، فجعلت تقرأ عليه، والنبي ﷺ يتلون وجهه، فقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَتَاكُمْ يُوسُفُ وَأَنَا مَعَكُمْ، فَاتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي، ضَلَلْتُمْ».

ثم قال الألباني ـ عليه الرحمة ـ بعد أن بَيَّنَ ضعفَ عامَّةِ هذه الشواهِدِ: «وجملة القول: إن مجيءَ الحديث في هذه الطرق المتباينة، والألفاظ المتقاربة، لَمِمَّا يدل على أن مجالد بن سعيد قد حَفِظَ الحديث، فهو على أقل تقدير حديثٌ حسنٌ، والله أعلم»[(١)].

• ذَمُّ السَّلَفِ مَنِ انْكَبَّ عَلَى كُتُبِ «أَخْبَارِ الْأَوَائِلِ»

روى الخطيب بسنده عن ابن أبي أُوَيْسٍ قال: سمعت خالي مالكَ بنَ أنس، وسَأَلَهُ رجلٌ عن زَبُورِ داودَ، فقال له مالكٌ: «ما أَجْهَلَكَ! مَا أَفْرَغَكَ! أما لنا في نافع، عن ابن عُمَرَ، عن نبينا ﷺ ما شَغَلنا بصحيحه عما بيننا وبين داود ـ عليه السلام؟»[(٢)].

---

(١) «إرواء الغليل»، (٦/٣٤ ـ ٣٨).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، (٢/١٦١).

وعن صدقة بن يسار سمع عمرو بن ميمون يقول:

«كنا جلوسًا في مسجد الكوفة، وذاك أولَ ما نُزِلَ[١]، فأقبل مِنْ نحو الجسر رجل معه كتابٌ، قلنا: ما هذا؟ قال: هذا كتابٌ. قلنا: وما كتابٌ؟ قال: كتابُ «دانيال»، فلولا أن القوم تحاجزوا لقتلوه، وقالوا: كتاب سوى القرآن؟ أكتاب سوى القرآن؟»[٢].

وقال الخطيبُ البغدادي - رحمه الله - تعالى -: «ويترك المنْتَخِب - أيضًا - الاشتغالَ بأخبار الأوائلِ؛ مثل كتاب «المبتدإ» ونحوه؛ فإنَّ الشُّغْلَ بذلك غيرُ نافعٍ، وهو عن التَّوَفُّر على ما هو أولى قاطع»[٣]، ثم أُسْنِدَ عن الإمام أحمد قوله: «الاشتغال بهذه الأخبار القديمة يقطع عن العلم الذي فُرِضَ علينا طلبه»[٤] ثم قال: «ونَظِيرُ ما ذكرناهُ آنفًا أحاديثُ الملاحِمِ، وما يكون من الحوادثِ؛ فإنَّ أكثرها موضوع، وجُلُّها مصنوع؛ كالكتاب المنسوب إلى «دانيال»، والخُطب المروية عن علي بن أبي طالب»[٥].

وأخرج الخطيب في «الجامع»: أن عُمَرَ رضي الله عنه بلغه أن رجلًا كتب «كتاب دانيال»، قال: فكتب إليه يرتفع إليه، قال: فلما قدم عليه جعل عُمَرُ يضرب بطنَ كفِّهِ بيده، ويقول: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾؛ فقال عمر: أَقَصَصٌ أحسن من كتاب ربنا؟! فقال: يا أمير المؤمنين، أَعْفِنِي؛ فوالله لأَمْحُوَنَّهُ»[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعالى - ما معناه:

(وقد انتفع عُمَرُ رضي الله عنه في هذا بما وقع منه حين رأى النبي ﷺ بيده شيئًا من التوراة،

---

(١) أي أول ما افتتح المسجد للصلاة، والوعظ، وما أشبه ذلك.

(٢) «الجامع»، (٢/١٦٢).

(٣) «السابق»، (٢/١٦٠).

(٤) «السابق»، (٢/١٦١).

(٥) «السابق»، (٢/١٦١).

(٦) «الجامع»، (٢/١٦١ - ١٦٢).

فقال: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ»، وفي رواية: «مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»، وفي لفظ: «فتغيَّرَ وجه رسول الله ﷺ لَمَّا عَرَضَ عليه عمر ذلك، فقال له بعضُ الأنصارِ: يا بنَ الخطَّابِ، ألا ترى إلى وجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رَضِينَا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًّا؛ ولهذا كان الصحابَةُ ينهون عن اتباع كتبِ غيرِ القرآن»[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أيضًا ـ:

«.. ولما كان القرآن أحسن الكلام؛ نُهُوا عن اتباع ما سواه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]، إلى أن قال ـ رحمه الله ـ:

«وروى ابن أبي حاتم، حَدَّثَنَا أبي، حَدَّثَنَا إسماعيلُ بْنُ خليلٍ، حَدَّثَنَا عليُّ بن مسهر، حَدَّثَنَا عبدالرحمن بن إسحاق، عن خليفة بن قيس، عن خالد بن عرفطة، قال: كنت عند عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه، إذ أُتِيَ برجلٍ من عبدالقيس مَسْكَنُهُ بالسوس، فقال له عمر: «أنت فلانُ ابنُ فلانٍ العبدي؟» قال: نعم، قال: «وأنت النازلُ بالسوسِ؟» قال: نعم، فضَرَبَهُ بقناة معه، فقال له: ما ذنبي؟ قال: فَقَرَأَ عليه: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾، فقرأها عليه ثلاث مرات، وضربه ثلاث ضربات، ثم قال له عمر: «أنت الذي انتسخت كتاب دانيال؟» قال: نعم، قال: «اذهب فامْحُهُ بالحميمِ، والصوف الأبيض، ولا تقرأه، ولا تُقْرِئْهُ أحدًا من الناس».

فقرأ عليه عُمَرُ هذه الآية ليبين له أن القرآن أحسن القصص؛ فلا يُحتاج معه إلى غيره، وهذا يدل على أن القصصَ عَامٌّ لا يختص بسورة يوسف، ويدل على أنهم كانوا يعلمون أن القرآنَ أفضل من كتاب «دانيال»، ونحوِه من كتب الأنبياء، وكذلك

---

(١) «مجموع الفتاوى»، (١٧/٤١).

مثل هذه القصة مأثورة عن ابن مسعود ﷺ لَمَّا أُتِيَ بما كُتِبَ من الكُتُبِ مَحَاهُ، وذَكَرَ فضيلةَ القرآنِ كما فعل عُمَرُ - رضي الله عنهما -، ثم شَرَعَ - رحمه الله - في بيان معنى كون القرآن المجيد مهيمنًا على الكتب السابقة إلى أن قال: «ولهذا لم تَحْتَجِ الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر، وكتاب آخر، فضلًا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره، سواء كان من علم المحدثين والملهمين، أو من علم أرباب النظر والقياس الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتابٍ مُنَزَّلٍ من السماء»[(١)].

ونقل القرطبيُّ في «التذكرة» عن الحافظ أبي الخَطَّابِ بن دحية؛ أنه قال عن «دانيال»: «نبيٌّ من أنبياء إسرائيل، عَلَّامَةٌ عبراني، وهو على شريعة موسى بن عمران، وكان قبل عيسى بن مريم بزمان»، ثم نُقِلَ عنه تحذيرًا من هذا الكتابِ؛ فقال: «ومن أسند مثل هذا إلى نبي، عن غير ثقة أو توقيف من نبينا ﷺ فقد سقطت عدالته، إلا أن يبين وضعه؛ لتصح أمانته، وقد ذكر في هذا الكتاب من الملاحم، وما كان من الحوادث، وسيكون، وجمع فيه التنافي والتناقض بين الضب والنون، وأغرب فيما أعرب في روايته عن ضرب من الهوس والجنون، وفيه من الموضوعات ما يُكَذِّبُ آخِرُهَا أَوَّلَهَا، ويتعذر على المتأول لها تأويلها وما يتعلق به جماعة الزنادقة، ومن تكذيب الصادق المصدوق محمد ﷺأن في سنة ثلاث مئة يظهر الدجّال من يهودية أصبهان، وقد طعنّا في أوائل سبع مئة في هذا الزمان، وذلك شيء ما وقع ولا كان، ومن الموضوع فيه المصنوع، والتهافت الموضوع، الحديث الطويل الذي استفتح به كِتَابَهُ؛ فهلا اتقى اللَّه، وَخَافَ عِقَابَهُ، وإِنَّ من أفضح فضيحة في الدين نقلَ مثل هذه الإسرائيليات عن المتهودين؛ فإنه لا طريق فيما ذُكِرَ عن دانيال إلا عنهم، ولا رواية تُؤْخَذُ في ذلك إلا منهم»[(٢)].

وروى الخطيب بسنده إلى يحيى بن معين، قال: «كان أبو اليمان يقول لنا: «الحقوا

(١) «السابق»، (٤١/١٧ - ٤٦) باختصار.
(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، (٧١٦ - ٧١٧).

ألواحًا؛ فإنه يَجِيءُ ههنا الآن خليفة بسَلَمْيَةَ[١]، فيتزوج ابنة هذا القرشي الذي عندنا، ويُفْتَحُ بَابٌ ههنا، وتكونُ فتنةٌ عظيمة، قال أبو زكريا: فما كان من هذا شيء، وكان كله باطل[٢]، قال أبو زكريا: وهذه الأحاديث كلها التي يحدثون بها في الفتن وفي الخلفاء، تكون كلها كذب[٣] وريح، لا يعلم هذا أحد إلا بوحي من السماء».

ثم أسند إلى أحمد بن حنبل قوله: «ثلاثةُ كتب ليس لها أصول:[٤] المغازي، والملاحم، والتفسير»[٥].

ثم قال:

«وهذا الكلام محمولٌ على وجه، وهو أن المرادَ به كتب مخصوصةٌ في هذه المعاني الثلاثة غير مُعْتَمَدِ عليها، ولا مَوْثُوقٍ بصحتها؛ لسوء أحوال مصنفيها، وعدم عدالة ناقليها، وزيادات الْقُصَّاصِ فِيهَا».

ثم قال:

«فأما كتب الملاحم؛ فجميعها بهذه الصفة، وليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المنتظرة، غير أحاديث يسيرة اتَّصلت أسانيدها إلى الرسول ﷺ من وجوه مرضيَّة، وطرق واضحة جليَّة»[٦].

---

(١) سَلَمْية: بلد بالشام، شرقي مدينة حماة.

(٢) ، (٣) كذا بالأصل والصواب النصب.

(٤) أي: أسانيد؛ لأن الغالب عليها المراسيل، وانظر: «مقدمة في أصول التفسير»، ص (٢٠ - ٢٢».

(٥) انظر: «الرد على البكري»، لشيخ الإسلام، ص (١٧ - ١٨).

(٦) «الجامع»، (١/١٦٢ - ١٦٣).

٤- حُرُوفُ أَبِي جَادٍ، وَالِاسْتِدْلَالُ بِهَا عَلَى الْمُغَيَّبَاتِ[(١)]

أربابُ هذه الطريقة يزعمون أن لهذه الحروف علاقَةً ورابطة قوية بحياة الإنسان ومستقبله، وبالكون وما يحدث فيه من الحوادث، ويزعمون أنهم يعرفون حوادث هذا العالم من هذه الحروف، وطريقتهم في ذلك أنهم يكتبون حروف أبي جاد، ويجعلون لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا عندهم، ويجرون على ذلك أسماء الآدميين، والأزمنة، والأمكنة، وغيرها، ثم يجرون على هذه الأعداد عملية حسابية من جمع وطرح بطريقة ما، وينسب العدد الباقي من هذه العملية إلى الأبراج الاثني عشر، ثم يقضون بالسعود والنحوس، وبأوقات الحوادث والملاحم، وبمدد الملك وأعمار الناس، إلى آخر ذلك من أمور الغيب، على وفق ما أَصَّله لهم أسلافهم، وأملاه عليهم شيطانهم؛ ومن ذلك ما فعله يعقوب بن إسحاق الكندي، الذي عمل تسييرًا لهذه الأمة، وزعم أنها تنقضي عام ثلاثة وتسعين وسبع مئة، وزعم بعض أتباعه أنه استخرج ذلك من حساب الجُمَّل الذي للحروف التي في أوائل السور[(٢)].

ويدخل ضمن هذه الصناعة ما يسميه الرافضة بعلم أسرار الحروف، وأهم مؤلف فيه عندهم كتاب الجفر، المنسوب كذبًا وبهتانًا إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، ونسبته إليه كَذِبٌ عليه باتفاق أهل العلم به[(٣)]؛ إذ إن واضع هذا الكتاب هو هارون بن سعيد

(١) بتصرف يسير من كتاب «التنجيم والمنجمون»، للدكتور/ عبد المجيد بن سالم المشعبي، ص (٣١١-٣١٨).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى»، (١/٣٣٦).

(٣) وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - تعالى -: «ونحن نعلم من أحوال أمتنا، أنه قد أضيف إلى جعفر الصادق - وليس هو بنبي من الأنبياء - من جنس هذه الأمور - أي علم النجوم - ما يعلم كل عالم بحال جعفر رضي الله عنه أن ذلك كذب عليه؛ فإن الكذب عليه من أعظم الكذب، حتى أنهم قد نسبوا إليه أحكام الحركات السفلية، والعلماء يعلمون أنه بريء من ذلك كله» اهـ. من «الفتاوى الكبرى»، (١/٣٣٢).
بل، قد أورد بعضهم عنه - أي جعفر الصادق - أنه سئل عن النجوم؛ فقال: «هو علم قلَّت منافعه، وكثرت مضراته؛ لأنه لا يدفع به المقدور، ولا يتقى به المحذور، وإن أخبر المنجم بالبلاء، لم ينجه التحرز من القضاء، وإن أخبرهم بخبر لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجم ينازع الله في علمه بزعمه أنه يرد قضاء الله عن خلقه» اهـ. من «مرآة العقول»، (٤/٤٦٢).

العجلي[١]، وهو رأس الزيدية، وكان له كتاب يزعم أنه يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم، ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص، وقع ذلك لجعفر الصادق ونظائره عن طريق الكشف والكرامة؛ كما يزعمون، ويزعمون أنه كان مكتوبًا عند جعفر في جلد جفر صغير، فرواه عنه هارون العجلي وكتبه، وسماه الجفر، باسم الجلد الذي كُتِبَ فيه، وصار هذا الاسم عَلَمًا على هذا الكتاب عندهم، وهذا الكتاب لم تتصل روايته، ولا عُرِفَ عينه وإنما تَظْهَرُ منه شواذٌّ من الكلمات التي لا يصحبها دليل[٢]، ويزعمون أن هذا الكتاب مشتمل على حوادث الأزمان على مر العصور، عُرِفَتْ عن طريق علم الحروف المتعلق بآثار النجوم[٣].

ومما يتشبثون به لتعضيد هذا المعتقد عندهم ما رواه الكليني عن أبي عبدالله جعفر الصادق أنه قال: (وإن عندنا الجفرَ، وما يدريهم ما الجفرُ؟ فقيل له: ما الجفرُ؟ قال: وِعاءٌ من أَدَمٍ فيه علم النبيين والوَصِيِّينَ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل)[٤].

وما رواه ـ أيضًا ـ أن أبا عبدالله سُئِلَ عن الجفر، فقال: (هو جلد ثور[٥] مملوء علمًا)[٦]، وتارة يذكرون أن هذا العلم مأثور عن آدمَ ـ عليه السلام ـ، فقد نقل علي اليزيدي الحائري عن كتاب الينابيع: (أما آدمُ ـ عليه السلامُ ـ فهو نبيٌّ مرسل خلقه اللَّه ـ تعالى ـ بيده، ونَفَخَ فيه من روحه، فأنزل عليه عَشْرَ صحائفَ، وهو أول من تكلم في علم الحروف، وله كتاب سفر الخفايا، وهو أول كتاب كان في الدنيا في علم

---

(١) هو هارون بن سعد العجلي، ويقال: الجعفي، الكوفي الأعور؛ كان من غلاة الرافضة توفي سنة خمس وأربعين ومئة.
انظر: «الجرح والتعديل»، (٩/٩٠)، و«ميزان الاعتدال»، (٤/٢٨٤)، و«تهذيب التهذيب»، (١١/٦).
(٢) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص (٣٣٤).
(٣) انظر: المصدر السابق.
(٤) «الأصول من الكافي»، (١/١٨٦).
(٥) هذا مخالف لأصل التسمية؛ إذ إن الجفر ولد الماعز، لا الثور، انظر: «الصحاح»، (٢/٦١٥).
(٦) «الأصول من الكافي»، (١/١٨٧).

الحروف، ثم ذكر أن آدَمَ ـ عليه السلام ـ وَرَّثه لأبنائه من بعده، وأبناؤه وَرَّثُوهُ لمن بعدهم، وهكذا إلى أن قال: ثم وَرِثَ هذا العلمَ عن أبيه جعفرُ الصادقُ، وهو الذي حَلَّ مَعَاقِدَ رموزه، وفك طلاسم كنوزه). ثم ذكر أن له كتابَ الجفرِ الأكبر، والجفر الأصغر، وأن الجفرَ الأكبرَ إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي من أ، ب ، ت، ث... إلى آخرها، وأنها أَلفُ وفق، وأن الجفر الأصغر إشارة إلى المصادر الوفقية التي هي مركبة من أبجد إلى قرشت، وهي سبع مئة وفق[١].

وهذا كلُّهُ من أكاذيبِ الرافضةِ على آل بيت رسول الله ﷺ، وهذا الكتابُ كما ذكرتُ آنفًا نُسِبَ كَذِبًا إلى جعفر الصادق ـ رحمه الله ـ، وليس لهم برهان على إثباته سوى القول المجرد عن الدليل، بل قد نفى علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يكون هو وذريته مخصوصين بشيء من الوحي دون الناس، وذلك فيما رواه البخاري ـ رحمه الله ـ: (أنه قيل لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي، إلا ما في كتاب الله؟ قال: لا. والذي فلق الحبة وبرأ[٢] النسمة ما أعلمه، إلا فَهْمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل[٣]، وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَلَ مسلمٌ بكافر)[٤].

أما نسبة هذا العلم إلى آدَمَ ـ عليه السلام ـ فليست صحيحةً؛ إذ إن كل ما رُوِيَ في ذلك عن آدَمَ ـ عليه السلام ـ، من أنه كان عالمًا بحروف أبي جاد، وأن الله أنزلها عليه، فقد نُقِلَتْ عن أخبار إسرائيلية، لا يُوثَقُ بها، وقد أجمع المسلمون على أن ما رُوِيَ عن بني إسرائيل في الأنبياء المتقدمين لا يُجْعَلُ عُمْدَةً في ديننا، ولا يجوز التصديقُ بصحتها إلا بحجة صحيحة واضحة[٥]، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري

(١) انظر: «إلزام الناصب»، (١/٢٣٢ ـ ٢٣٥).
(٢) أي: خلق، انظر: «الصحاح»، (١/٣٦).
(٣) العقل: الدية، «النهاية في غريب الحديث»، (٣/٢٧٨).
(٤) أخرجه البخاري، (١٦٠٤)، كتاب الجهاد والسير.
(٥) انظر: «مجموع الرسائل والمسائل»، (١/٣٨٣).

عن أبي هريرة ـ: «لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكِتَابِ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...»[1]، وما رواه البخاري ـ أيضًا ـ عن ابن عَبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ، قال: «يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أُنْزِلَ على نَبِيِّهِ ﷺ، أحدثُ الأخبار بالله؟ تقرءونه ولم يُشَبْ، وقد حدثكم الله أن أهلَ الكتاب بَدَّلُوا ما كتب الله، وغَيَّرُوا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله؛ ليشتروا به ثَمَنًا قليلًا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلًا قَطُّ قد يسألكم عن الذي أُنْزِلَ عليكم»[2].

وبهذا يتبين أن ما ذُكِرَ عن آدمَ ـ عليه السلام ـ من ذلك لا يجوز تصديقه، وكذلك ما روي عن النبي ﷺ في الحث على تعلم أبي جاد، وتعلم تفسيرها لا يصح ـ أيضًا ـ؛ وذلك لأن هذا الحديثَ رُوِيَ من طريقين كلاهما لا يَصِحُّ عن النبي ﷺ:

أَوَّلُهُمَا: ما ذكره ابن تيميةَ ـ رحمه الله ـ أن أبا بكر النَّقَّاش[3] رواه في تفسيره، وغيره من المفسرين، كما ذكره ابن جرير الطبري في آخر تفسيره، ورد عليه، فذكر أن أبا بكر النقَّاش روى بسنده من طريق محمد بن زياد الجزري[4]، أن رسول الله ﷺ قال: (تعلموا أبا جاد وتفسيرها، ويل لعالم جهل تفسير أبي جاد...).

وذكر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ أن ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ قال بعد إيراد هذا الحديث: (لو كانت الأخبار التي رُوِيَتْ عن النبي ﷺ في ذلك صِحَاحَ الأسانيد لم

---

(١) أخرجه البخاري، (٢٨٠/٩)، كتاب التوحيد.

(٢) انظر تخريجه ص (٦٤٥).

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر النقاش، عالم بالقرآن، وتفسيره، توفي سنة إحدى وخمسين وثلاث مئة، قال الخطيب البغدادي: في أحاديثه مناكير بأسانيد مشهورة، وقال أبو القاسم اللالكائي: تفسير النقاش إشقاء الصدور، وليس بشفاء الصدور.
وقال البرقاني: كل حديث النقاش منكر، وقال الذهبي: فيه ضعف.
انظر: «تاريخ بغداد»، (٢٠١/٢)، و«ميزان الاعتدال»، (٥٢٠/٣)، و«لسان الميزان»، (١٣٢/٥).

(٤) انظر: «كتاب الضعفاء الصغير»، (رقم ٣١٧)، و«الضعفاء»، لأبي زرعة، (٤٤٧/٢)، و«تهذيب التهذيب»، (١٧٠/٩)، و«التقريب»، (٥٨٩٠).

يعدل عن القول بها إلى غيرها، ولكنها واهية الأسانيد، غير جائز الاحتجاج بمثلها، وذلك أن محمد بن زياد الجزري غير موثوق بنقله).

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعد ذلك: (الحديث فيه فرات بن السائب، وهو ضعيف لا يُحْتَجُّ به، وهو فُرَاتُ بن أبي الفرات[١]، ومحمد بن زياد الجزري ضعيف ـ أيضًا)[٢].

أما الطريق الثاني فقد رواه الصدوق القمي الرافضي بسنده عن الأصبغ بن نباتة[٣]، أن النبي ﷺ قال: (تعلموا تفسير أبجد؛ فإن فيه الأعاجيبَ كلها، ويل لعالم جهل تفسيره...)[٤].

والأصبغ بن نباتة لا يُحْتَجُّ بروايته.

وقد ورد أن هذه الصناعةَ مأثورةٌ عن فلاسفة اليونان، الصابئة الذين يعبدون الأوثان، فقد جعل أرسطو في آخر كتاب (السياسة) فصلًا في حساب الْجُمَّل، وادعى أنه يعرف بها الغالبَ من المغلوب، ونحو ذلك من أمور الغيب[٥].

والذي ينبغي أن يُعْلَمَ في هذا الموضع أن هذه الحروفَ ليست أسماءً لمسميات، ولا علاقةَ لها بمستقبل الإنسان ولا بحياته، وإنما أُلِّفَتْ لِيُعْرَفَ تأليف الأسماء من حروف المعجم، بعد معرفة حروف المعجم، ثم إن كثيرًا من أهل الحساب صاروا يجعلونها

(١) انظر: «الجرح والتعديل»، (٧/٨٠)، و«ميزان الاعتدال»، (٣/٣٤٣)، و«لسان الميزان»، (٤/٤٣٢).
(٢) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل»، (١/٣٨٤ - ٣٨٦).
(٣) هو الأصبغ بن نباتة الحنظلي المجاشعي الكوفي، قال النسائي: متروك الحديث.
وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال عنه ـ أيضًا ـ: ليس بثقة، وقال ابن حمدان: متروك، وقال أبو بكر بن عياش: كذاب، وقال ابن عدي: بين الضعف، وقال ابن سعد: كان شيعيًا، وكان يضعف في روايته.
انظر: «الضعفاء والمتروكين»، للنسائي، ص ١٥٦، و«الجرح والتعديل»، (٢/٣١٩)، و«ميزان الاعتدال»، (١/٢٧١)، و«تهذيب التهذيب»، (١/٣٦٢).
(٤) «التوحيد»، لابن بابويه القمي، ص (٢٣٧).
(٥) انظر: «مقدمة ابن خلدون»، ص (١١٤).

علامات على مراتب العدد، فيجعلون الألف واحد، والباء اثنين، والجيم ثلاثة... وهكذا، ثم أخذ هؤلاء هذا الاصطلاح، ولفقوا عليه الأباطيل، وادعوا أنَّهُ علم، وأن به تُعْرَفُ الأمورُ الغيبية، وربطوه بالتنجيم؛ لخفاء بطلان التنجيم على كثير من الناس، والعلم لا يُؤْخَذُ عن مثل هذه النظريات الفاسدة، ولا من هذه العقليات الجاهلية الباطلة، بل لا بد فيه من عقل مُصَدَّقٍ، ونقل مُحَقَّقٍ[١]، وهذا الذي يزعمون ما هو إلا ادعاء علم استأثر اللَّه به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صَدَّقَ به، واعتقد فيه كفر ـ والعياذ باللَّه[٢] ـ؛ كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مُنْكِرًا على الذين يتخذون هذه الصناعة: «إن قومًا يحسبون أبا جاد، وينظرون في النجوم، ولا أرى لمن فعل ذلك من خلاق»[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبدالوهَّاب ـ رحمهم اللَّه تعالى ـ: «وكتابة أبي جاد، وتعلمها لمن يدعي بها علم الغيب، هو الذي يسمى علم الحرف، وهو الذي فيه الوعيد، فأما تعلمها للتهجي وحساب الجُمل، فلا بأس به»[٤] ا هـ.

وقال الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه اللَّه ـ: «وزعم بعضهم أن الساعة تقوم سنة ١٤٠٧هـ؛ بناء على أن عدد حروف «بغتة» في قوله ـ تعالى ـ: ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ ١٤٠٧»[٥]، وبيَّنَ ـ رحمه اللَّه ـ أن بعض الناس حاول تحديد عمر هذه الأمة عن طريق «عدد أبي جاد»، ثم قال: «وقد ثبت عن ابن عباس الزجر عن عَدِّ أبي جاد، والإشارة

---

(١) انظر: «مجموعة المسائل»، (١/٣٨٦ ـ ٣٨٧).

(٢) انظر: «معارج القبول»، (١/٣٢٦).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في «المصنف»، (١١/٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف»، (٥/٢٤٠)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق»، ص (٣٠٩)، رقم (٧٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى»، (٨/١٣٩)، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»، (١٠٩٨٠) مرفوعًا، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد»، «وفيه خالد بن يزيد العمري، وهو كذاب»، (٥/١١٧).

(٤) «فتح المجيد»، (٢/٤٩٧)، وانظر: «الدين الخالص»، (٢/٣٤٠).

(٥) «تفسير المنار»، (٩/٤٠١).

إلى أن ذلك من جملة السحر، وليس ذلك ببعيد؛ فإنه لا أصلَ له في الشريعة». [٩/ ٣٩٦]، وقال ـ أيضًا ـ: «وأما عَدَدُ أبي جاد فليس بِلُغَوِيٍّ، ولا شرعي، بل هو اصطلاح يهودي»(١).

أَصْلُ طَرِيقَةِ «حِسَابِ الْجُمَّلِ»:

التي اعتمد عليها البعض في تحديد عمر الدنيا، وبعض أشراط الساعة، وبيان بدعية اعتمادها في تفسير فواتح السور.

رُوِيَ أن أول من أدخل حساب الجُمَّل في تأويل حروف المعجم التي وردت في أوائل السور هم اليهود ـ لعنهم الله ـ؛ كيدًا للإسلام وأهله، وأن حُيَيَّ بن أخطبَ عَدَّ جملة السنين التي تدل عليها هذه الحروف، وحسب عمر الأمة المحمدية؛ طبقًا لحساب الجُمَّل، غير أن هذا الحديث ضعيف(٢)، ولو صح؛ فكيف يكون لنا في هذا اليهودي أسوةٌ؟

ولقد ذهب البعض إلى أن «المتشابهات» الواردة في قوله ـ تعالى ـ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾، الآية، [آل عمران: ٧]، يُرَادُ بِهَا «الحروف المقطعة في أوائل السور»، وحكى الإمام ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ قَوْلَ من ذهب إلى أن الحروف المقطعة في أوائل السور من «المتشابه»؛ وقولهم في تعليل ذلك: «لأنهن متشابهات في الألفاظ، وموافقات حروف حساب الجُمَّل»، ثم قال ـ رحمه الله ـ: «وكان قوم من اليهود على عهد رسول الله ﷺ طَمِعوا أن

---

(١) «السابق»، (٩/٣٩٧).

(٢) رواه ابن إسحاق بأسانيد ضعيفة مضطربة، وقال ابن كثير: «وهذا الحديث مداره على محمد بن السائب الكلبي؛ وهو ممن لا يُحتج بما انفرد به، بل قد رُمي بالكذب»، وقال الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ عند ذكره الخلاف في تفسير الحروف المقطعة، في أوائل السور: «وقال بعضهم: هي حروف من حساب الجُمَّل، كرهنا ذكر الذي يُحكي ذلك عنه؛ إذ كان الذي رواه ممن لا يُعتمد على روايته ونقله» اهـ. من «تفسير الطبري»، (١/٢٠٨).

يدركوا من قِبَلها معرفة مدة الإسلام وأهله، ويعلموا نهاية أُكْلِ[(١)] محمد ﷺ وأمته؛ فأكذب اللَّه أحدوثتهم بذلك، وأعلمهم أن ما ابتغوا علمه من ذلك من قِبَل هذه الحروف المتشابهة لا يدركونه، ولا من قبل غيرها، وأن ذلك لا يعلمه إلا اللَّه».

ثم قال الإمام الطبري ـ رحمه اللَّه ـ: «وهذا القول أشبه بتأويل الآية»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في شرح قوله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سمَّى اللَّه؛ فَاحْذَرُوهُمْ».

«والمراد التحذير من الإصغاء إلى الذين يَتَّبِعُونَ المُتَشَابِهَ من القرآن، وأول ما ظهر ذلك من اليهود؛ كما ذكره ابن إسحاق في تأويلهم الحروف المقطعة، وأن عددها بالجُمَّل مقدار مدة هذه الأمة»[(٣)].

وإن مما يُؤْسَفُ له أن فكرة «حساب الجمَّل» هذه انتقلت إلى بعض كتب التفسير التي تَقَبَّلَتْهَا دون رَوِيَّةٍ؛ ولهذا استخرج بعض أئمة المغرب من ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾، [الروم: ١، ٢] فتح بيت المقدس، واستنقاذه من يد العدو في سنة معينة[(٤)]، وقال العز بن عبدالسلام عند تفسيره: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: ١]: «هي حروف من حساب الجُمَّل»، ثم ذكر حكاية حُيَيِّ بن أخطب مع النبي ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ، وقال السهيلي: «لعل عدد الحروف التي في أوائل السور، مع حذف المكرر؛ للإشارة إلى بقاء هذه الأمة»[(٥)].

ونقل السيوطى عن أبي الفضل المرسي قوله في الحروف المقطعة: «وإن فيها ذكر مدد، وأعوام لتواريخ أمم سالفة، وإن فيها تاريخ بقاء هذه الأمة، وتاريخ مدة أيام الدنيا،

---

(١) الأُكْل: مدة العُمُر.

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، (٦/١٧٩ - ١٨٠).

(٣) «فتح الباري»، (٨/٢١١).

(٤) «الحروف المتقطعة»، ص (٥٦)، نقلًا عن «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن»، ص (٦٠).

(٥) «الإتقان في علوم القرآن»، (٢/١٠).

وما مضى، وما بقي مَضْرُوبٌ بعضها في بعض»[١].

ويقول السهيلي كذلك تعليقًا على الحساب اليهودي: «وهذا القول من أحبار يهود، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل ـ حتى الآن ـ أن يكون من بعض مادلت عليه الحروف المُقَطَّعَة ...».

ولقد أدى تَسَرُّبُ هذه الفكرة إلى أن توقع بعض العلماء انقضاء هذه الأمة المحمدية بعد الخمس مئة سنة الأولى، وها نحن الآن في عام ١٤٢٣هـ، والأمة باقية بحمد الله ـ تعالى ـ، ومَنِّه، وكرامته، وهي تزيد عددًا، ويكثر أتباع دين الحق.

● **يَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّد أَبُو فراخ مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْمَسْلَكِ:**

(وإني لأعجب أشد العجب من قوم يَعْلَمُونَ أن الله ـ تعالى ـ قد استأثر بعلم الغيوب، ورأوا أن رسول الله ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لم يثبت عنه أنه قال في شيء من ذلك كلامًا صريحًا؛ كيف يشقون على أنفسهم، ويتحملون العناء؛ ليذكروا من هذا ما لا يقبله العقل، ولا يطمئن إليه، ثم إنهم إذا أرادوا أن يجعلوا الحروف التي وقعت في أوائل السور تدل ـ فيما تدل عليه ـ على ذلك المعنى، لماذا اقتصروا على بعضها دون بعض؟ وَهَلَّا جمعوها كلها؛ سواءٌ أتكررت، أم لم تتكرر، ثم ذهبوا إلى أن مجموع جميعها هو المقصود»، إلى أن قال: «وبعد؛ فإنَّا لا نسيغ لأنفسنا، ولا نرضى لأحدٍ سوانا أن يخوض في هذا، وفيما أشبه هذا؛ فإن علم ذلك كله عند الله وحده)[٢].

ثم قال: «قال الخويبي: «وقد استخرج بعضهم من ﴿الٓمٓ ١﴾، [الروم: ١] فتح بيت المقدس؛ يفتحه المسلمون في سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة، ووقع كما قاله»، ويوضح ابن عربي الكيفية التي تَمَّ بها ذلك الحساب الغريب، فَارْجِعْ إلى «روح المعاني»

(١) «السابق»، (١٢٨/٢).
(٢) «الحروف المتقطعة»، ص (٥٩).

في ذلك - إن شئت.

وذكر بعضهم أن «طه» معناه: يا بدر، لأن الطاء بتسعة، والهاء بخمسة؛ فذلك أربع عشرة؛ إشارةً إلى البدر؛ لأنه يتم فيها، وقريب من هذا ما عُنيَ به بعض الشيعة من حذف المكرر من هذه الحروف، وصياغة جمل مما بقي منها في مدح عليٍّ رضي الله عنه، أو تفضيله، وترجيح خلافته؛ كقولهم: «صراط عليٍّ حق نمسكه»، ولكنهم قوبلوا بجمل أخرى مثلها من بعض السنيين تنقض ما قالوه؛ كقولهم: «صح طريقك مع السنه»[1]، إلى غير ذلك من الأقوال الغريبة الأخرى، ليس هذا موضع بسطها[2] -، ولقد نهى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن مثل هذا المسلك، الذي اعتبره من جملة السحر، واعتبر أصحابه من الذين يتبعون المتشابه؛ لما في قلوبهم من الزيغ، والفتنة، والضلال. وذكر ابن حجر أن حساب الجمل: «باطلٌ لا يُعْتَمَدُ عليه، ولا أصل له في الشريعة»[3]، وقال ابن كثير: «وأما من زعم أنها دَالَّةٌ على معرفة المدد، وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث، والفتن الملاحم؛ فقد ادَّعى ما ليس له، وطار في غير مطاره»[4]، وفي «تفسير المنار»: «أضعف ما قيل في هذه الحروف وأسخفه: إن المراد بها الإشارة بأعدادها في حساب الجملة إلى مدة هذه الأمة، أو ما شابه ذلك»، وقال القاضي أبو بكر: «ومن الباطل علم الحروف المقطعة في أوائل السور، وقد تحصل لي فيها عشرون قولًا وَأَزْيَدُ، ولا أعرف أحدًا يحكم عليها بعلم، ولا يصل منها إلى فَهْم، والذي أقوله: إنه لولا أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولًا متداولًا عندهم؛ لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي ﷺ؛ تلا عليهم ﴿حمٓ ۝١﴾ [فصلت: ١]، ﴿صٓ﴾، وغيرها، فلم ينكروا

---

(١) وقال بعضهم: «نصٌّ حكيمٌ قاطعٌ له سِرٌّ».

(٢) انظرها في «الإتقان»، (٢/٨ - ١٣)، «روح المعاني»، (١/١٠٤)، «المنار»، (١/١٢٣)، «سيرة النبي ﷺ»، لابن هشام، (٢/١٧٢).

(٣) «فتح الباري»، (٨/٢١١)، وانظر: «الإتقان»، (٢/١١).

(٤) «تفسير القرآن العظيم»، (١/٣٨).

ذلك، بل صرحوا بالتسليم له في البلاغة، والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة، وحرصهم على زلة؛ فدل على أنه كان أمرًا معروفًا بينهم لا إنكار فيه»[(١)].

إنه لم يُعْرَفْ عن هؤلاء العرب مثل هذه الحسابات العددية لتلك الحروف المقطعة في أوائل السور القرآنية؛ فوجب رد هذه التأويلات التي لم يقصد بها وجه الحق، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾، [الإسراء: ٣٦][(٢)].

وممن استروح لمنهج حساب الجمل الشيخ طنطاوي جوهري الذي زَعَمَ إمكانية الرمز، والإشارة بالحروف إلى حساب الجمل، وقد نزل القرآن بذلك؛ ليأخذ الناس في فَهْمِهَا؛ «حيث كان اليهود، والنصارى يتخذون رموزًا، وإشاراتٍ مشهورةً في دينهم، فنزل القرآن بهذه الرموز؛ ليكون مفهومًا لجميع الطوائف؛ لأنه نزل للعرب، والعجم جميعًا».

قال الشيخ في ذلك: «اعلم أن القرآن كتابٌ سماويٌّ، والكتب السماوية تُصَرِّحُ تارَةً، وترمز أخرى، والرمز والإشارة من المقاصد السامية، والمعاني والمغازي الشريفة، وقديمًا كان ذلك في أهل الديانات؛ ألم تر إلى اليهود الذين كانوا منتشرين في المدينة، وفي بلاد الشرق أيام النبوة، كيف كانوا يصطلحون فيما بينهم على أعداد الجُمَّل المعروفة اليوم في الحروف العربية؛ فيجعلون الألف بواحدٍ، والباء باثنين، والجيم بثلاثة، والدال بأربعة، وهكذا مارِّين على الحروف الأبجدية، إلى الياء بعشرة، والكاف بعشرين، وهكذا إلى القاف بمائة، والراء بمائتين، وهكذا إلى الغين بألف، كما ستراه في هذا المقام؛ كذلك ترى أن النصارى في إسكندرية، ومصر، وبلاد الروم، وفي سوريا قد اتخذوا الحروف رموزًا دينية معروفة فيما بينهم أيام نزول القرآن، وكانت اللغة اليونانية هى اللغة الرسمية في مصر، وكانوا يرمزون بلفظ (اكسيس) لهذه الجملة: «يسوع المسيح ابن الله المخلص»؛ فالألف من «اكسيس» هى الحرف الأول من لفظ

(١) انظر: «الإتقان»، (٢/١١).

(٢) «الحروف المتقطعة»، ص (٦٠ - ٦٢).

«ايسوس» يسوع، والكاف منها هي الحرف الأول من «كرستوس» المسيح، والسين منها هي حرف الثاء التي تبدل منها في النطق في لفظ «ثيو» اللَّه، والياء منها تدل على «ايوث» ابن، والسين الثانية منها تشير إلى «ثوتير» المخلص، ومجموع هذه الكلمات «يسوع المسيح ابن اللَّه المخلص»[(١)]، ولفظ «اكسيس» اتفق أنه يدل على معنى سمكة؛ فأصبحت السمكة عند هؤلاء رمزًا لإلههم.

فانظر، كيف انتقلوا من الأسماء إلى الرمز بالحرف، ومن الرمز بالحرف إلى الرمز بحيوانٍ، دلت عليه الحروف، قال الحَبْرُ الإنجليزي «صموئيل مونتج»: «إنه كان يوجد كثيرًا في قبور رومة صور أسماك صغيرة مصنوعة من الخشب، والعظم، وكان كل مسيحي يحمل سمكة؛ إشارةً للتعارف فيما بينهم»[(٢)].

وجنح الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني صاحب «مناهل العرفان» إلى تفسير الحروف المقطعة في أوائل السور بالرموز التي تعارفت عليها الطوائف اليهودية من حساب الجمل، وأن القرآن قد جاء بها؛ لتتفق مع مذاهبهم، قال الشيخ: «إذا كان من طبائع الأمم التي أحاطت بالبلاد العربية، وتغلغلت فيها، ونزل القرآن لجميع الناس من عربٍ، وعجمٍ، كان لا بد أن يكون على منهج تَلَذُّهُ الأمم، ويكون فيه ما يألفون».

- ثم ذكر الشيخ حكاية حييٍّ بن أخطب اليهودي؛ الذي عَدَّ فيها عمر الأمة الإسلامية، وانتهى الشيخ بعد أن ذكر هذه الرواية ـ دون أن ينبه على ضعفها ـ إلى أن حساب الجمل كان للتعارف عن اليهود، وهو نوع من الرموز الحرفية؛ فكانت هذه الحروف لا بد من نزولها في القرآن[(٣)].

ويعلق الدكتور محمد محمد أبو فراخ ـ حفظه اللَّه ـ قائلًا:

«إن هذه الحروف لم تأت على منهجٍ يَلَذُّهُ اليهود، أو غيرهم؛ وإنما جاءت على

---

(١) تعالى اللَّه عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.
(٢) «الجواهر في تفسير القرآن الكريم»، (٢/٥).
(٣) «مناهل العرفان»، (١/٢٢٤ ـ ٢٢٥).

منهج القرآن العظيم المتلائم المتناسب، فيما قدمه من حروف وكلمات، ومع المعاني المرادة منها، والمقاصد التي أتى بها؛ لإثبات الحق، ونفي الباطل بأعظم وجه، وأتم بيان)، اهـ[١].

٥- تَحْدِيدُ عُمْرِ الدُّنْيَا:

باديء ذي بَدْءٍ، نُقَرِّرُ أن الخوض في هذه القضية مما لا يترتب عليه عمل؛ إذ يشبه السؤال عنها قول السائل لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الله عليه وسلم -: «متى الساعة؟»، فأجابه ﷺ بجوابِ الحكيم، فقال: «وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»[٢]، فلكلِّ إنسانٍ ساعته، وقيامته[٣]، والذي يعنيه أن يستعد للقاء الله إذا حضر أجله بالعمل الصالح.

ومع هذا، فقد خاض البعض في هذا الأمر وغلطوا؛ كما فعل الحافظ السيوطي - رحمه الله - تعالى - في كتابه «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف[٤]»، احتج فيه بأحاديث لم تصح؛ منها ما رواه الضحاك بن زمل الجهني، قال: رأيت رؤيا، قصصتها على رسول الله ﷺ فذكر الحديث، وفيه: إذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، وأنت في أعلاها درجة، فقال ﷺ: «أما المنبر الذي رأيت سبع درجات، وأنا أعلاها درجة؛ فالدنيا سبعة آلاف سنة، وأنا في آخرها ألفًا»[٥].

وذكر الإمام المحقق ابن قيم الجوزية - رحمه الله - تعالى - في «المنار المنيف» أمورًا كلية، يعرف بها كون الحديث موضوعًا؛ منها مخالفته صريح القرآن؛ كحديث مقدار الدنيا، وأنها سبعة آلاف سنة، ونحن الآن في الألف السابعة، وهذا من أبين الكذب؛ لأنه لو كان صحيحًا، لكان كل واحد عالمًا أنه بقي للقيامة من وقتنا هذا مئة وإحدى

---

(١) «الحروف المتقطعة»، ص (٦٦).

(٢) انظر تخريجه، ص (٦٠٣).

(٣) انظر: «تفسير المنار»، (٩/٣٨٧).

(٤) ضمن «الحاوي»، (٢/٨٦).

(٥) وهذا حديث موضوع، انظر: «ضعيف الجامع الصغير» (٣/١٦٠) رقم (٣٠١٣).

وخمسون سنة. ا هـ[(١)]. علمًا بأن ابن القيم عاش في القرن الثامن الهجري.

وقال ابن كثير في «النهاية» في «الفتن والملاحم»: حديث أن النبي ﷺ يؤلف تحت الأرض لا أصل له[(٢)]، وحديث «الدنيا جمعة من جمع الآخرة» لا يصح إسناده، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد وقت القيامة على التعيين، لا يثبت إسناده[(٣)].

واحتج السيوطي ـ رحمه اللَّه ـ بآثار فيها تحديد عمر الدنيا، وأغلبها إسرائيليات، وقال ـ رحمه اللَّه ـ «الذي دلَّت عليه الآثار أنَّ مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة».

تَعْلِيقُ الْعُلَمَاءِ عَلَى كَلَامِ السُّيُوطِيِّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ

قال صديق حسن خان في «الإذاعة»:

«وإذا أحطت علمًا بجميع ما سقناه؛ علمت بأن القول بتعيين مدة الدنيا من أولها إلى آخرها بأنه سبعة آلاف سنة لم يثبت فيه نصٌّ يُعْتَمَدُ عليه؛ وغاية ما فيه آثار عن السلف، وإن كانت لا تقال إلا عن توقيف؛ فلعلها مأخوذة عن أهل الكتاب، وفي أسانيدها مقال، وقد عُلم تغييرهم لما لديهم عن اللَّه ـ تعالى ـ، وعن رسوله» اهـ[(٤)].

وممن تعقب السيوطي ـ رحمه اللَّه ـ الشيخ مرعي الكرمي في «بهجة الناظرين» قائلًا: «وهذا مردود؛ لأنَّ كل من يتكلَّم بشيء من ذلك؛ فهو ظنٌّ، وحسبانٌ، لا يقوم عليه برهان»[(٥)].

وممن بين أن السيوطي أقام رسالته «الكشف» على آثار بواطيل الصنعاني ـ رحمه اللَّه ـ، وجمع ما تضمنته من تواريخ، وحسابات؛ فبلغت معه مئتي سنة وثلاثًا وستين سنة، ثم

(١) «المنار المنيف»، ص (٨٠).
(٢) «نهاية البداية والنهاية» (١/١٩).
(٣) «السابق» (١/٢٢).
(٤)، (٥) نقله عنه في «تفسير المنار»، (٩/٤٠٠).

قال الصنعاني: «ونحن الآن في القرن الثاني عشر، ويضاف إليه مئتان وثلاث وستون سنة؛ فيكون الجميع أربعة عشرة مئة وثلاثة وستين»، ثم قال متعقبًا السيوطي: «وعلى قوله: إنه لا يبلغ خمس مئة سنة بعد الألف، يكون منتهى بقاء الأمة بعد الألف أربع مئة سنةٍ وثلاثًا وستين سنةً، ويتخرَّج منه أن خروج الدَّجال ـ أعاذنا اللَّهُ من فتنته ـ قبل انخرامِ هذه المئة التي نحن فيها؛ وهي المئة الثانية عشرة من الهجرة النبويّة».

● **وَعَقَّبَ عَلَى قَوْلِ الصَّنْعَانِيِّ هَذَا القَنّوجي؛ فَقَالَ:**

«وقد مضى إلى الآن على الألف نحوٌ من ثلاث مئة سنة، ولم يظهر المهدي! ولم ينزل عيسى! ولم يخرج الدَّجال!! فدلَّ على أن هذا الحساب ليس بصحيح»[1].

وممن انتقد رسالة السيوطي ـ رحمه اللَّه ـ الشيخ محمد رشيد رضا ـ رحمه اللَّه ـ؛ إذ قال في «المنار»: «فكأن رسالته كلها مستنبطة من الخبرين الموضوعين؛ أي المكذوبين على رسول اللَّه ﷺ، فتأمل ـ هداك اللَّه ـ تعالى ـ ما يفعل الغرور بظاهر الروايات حتى في أنفس المشتغلين بالحديث؛ كالسيوطي الذي عُدَّ من الحفاظ، وأنكر ذلك زميله السخاوي، وكلاهما من تلاميذ الحافظ ابن حجر»[2].

وكان قد انتقد الآثار التي أوردها السيوطي، والتي فيها أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، فقال: «وقد اغتر بها من لا ينظرون في نقد الروايات إلا من جهة أسانيدها؛ حتى استنبط بعضهم منها ما بقي من عمر الدنيا، وللجلال السيوطي في هذا رسالة قد هدمها عليه الزمان؛ كما هدم أمثالها من التخرصات، والأوهام، وما بُثَّ في الإسرائيليات من الكيد للإسلام»[3].

وقال الشيخ يوسف بن عبداللَّه الوابل ـ حفظه اللَّه:

«وكما أنه لا يعلم أحد متى تقوم الساعة، فكذلك لا يعلم أحد متى تظهر أشراط

---

(١) «الإذاعة»، ص (١٨٤).

(٢) «تفسير المنار»، (٩/٣٩٨).

(٣) «السابق»، (٩/٣٩٣).

الساعة، وما ورد أنه في سنة كذا يكون كذا، وفي سنة كذا يحصل كذا؛ فهو ليس بصحيح؛ فإن التاريخ لم يوضع في عهد النبي ﷺ، وإنما وضعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ اجتهادًا منه، وجعل بدايته هجرة النبي ﷺ إلى المدينة»(١).

ذِكْرُ نُصُوصٍ عَنِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى السُّيُوطِيِّ فِي قَضِيَّةِ «تَحْدِيدِ عُمْرِ الدُّنْيَا»

أَوَّلًا: الإمام أبو محمد علي بن حزم (ت ٤٥٦) ـ رحمه الله ـ: لم يعبأ بشيء من تلك الروايات المأثورة في هذه المسألة على طول باعه، وسعة حفظه للآثار، وقد سبق القاضي عياضًا، والقاضي أبا بكر بن العربي، وابن خلدون في رفضه لما قيل في عمر الدنيا، وعجبت كيف غفل الحافظ عن إيراد ما قاله في هذه المسألة على سعة إطلاعه، قال بعد ذكر ما كان يقول اليهود والنصارى في بدء الخليقة ما نصه:

«وأما نحن ـ يعني المسلمين ـ؛ فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا، ومن ادَّعى في ذلك سبعة آلاف سنة، أو أكثر، أو أقل؛ فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله ﷺ فيه لفظة تصح، بل صح عنه ﷺ خلافه، بل نقطع على أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله ـ تعالى ـ، قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾، [الكهف: ٥١]، وقال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْتُمْ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوِ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ»، وهذه نسبة من تدبرها، وعرف مقدار عدد أهل الإسلام، ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض، وأنه الأكثر، على أن للدنيا أمدًا لا يعلمه إلا الله، وكذلك قوله ـ عليه السلام ـ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وضم أصبعيه المقدستين السبابة، والوسطى، وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون إلا الله ـ تعالى ـ لا أحد سواه؛ فصح أنه ﷺ إنما عنى شدة القرب، وله ﷺ منذ بعث أربع مئة عام ونيف، والله ـ تعالى ـ أعلم بما بقي للدنيا؛ فإذا

(١) «أشراط الساعة»، ص (٦٥).

كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف؛ لقلته وتفاهته، بالإضافة إلى ما مضى، فهو الذي قاله ﷺ من أننا فيما مضى كالشعرة في الثور، أو الرقمة في ذراع الحمار»، اهـ. كلام ابن حزم ـ رحمه الله ـ تعالى[1].

ثَانِيًا: الْقَاضِي عِيَاضٌ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

فقد نقل عنه الحافظ ابن حجر أثناء شرحه لحديث «بُعِثْتُ أَنَا، وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ» قوله: حاول بعضهم في تأويله أن نسبة ما بين الأصبعين؛ كنسبة ما بقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى، وأن جملتها سبعة آلاف سنة، واستند إلى أخبار لا تَصِحُّ، وذكر ما أخرجه أبو داود في تأخير هذه الأمة نصف يوم، وفسَّره بخمس مئة سنة؛ فيوخذ من ذلك أن الذي بقي نصفُ سُبع، وهو قريب مما بين السبابة، والوسطى في الطول.

قال: وقد ظهر عدم صحة ذلك؛ لوقوع خلافه، ومجاوزة هذا المقدار، ولو كان هذا ثابتًا، لم يقع خلافه.

ثُمَّ قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: قد انضاف إلى ذلك منذ عهد عياض إلى هذا الحين ثلاث مئة سنة، وقال ابن العربي: قيل: الوُسْطَى تزيد على السبابة نصف سبعها، وكذا الباقي من الدنيا من البعثة إلى قيام الساعة، قال: وهذا بعيدٌ، ولا يُعلم مقدار الدنيا؛ فكيف يتحصل لنا نصف سبع أمدٍ مجهول؟ فالصواب الإعراض عن ذلك» اهـ[2].

ثَالِثًا: الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

قال ـ رحمه الله ـ : «إن ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن، والكوائن أن ذلك يكون، وتعيين الزمان في ذلك من سنة كذا، يحتاج إلى طريقٍ صحيحٍ يقطع العذر، وإنما ذلك كوقت قيام الساعة؛ فلا يعلم أحدٌ أيَّ سنة هي؟ ولا أي شهر؟ أما أنها تكون في يوم

---

(١) نقله عنه في «تفسير المنار»، (٩/٤٠٢).

(٢) انظر: «تفسير المنار»، (٩/٣٩٤ ـ ٣٩٥).

الجمعة في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي خلق اللَّه فيها آدم ـ عليه السلام ـ، ولكن أي جمعة؟ لا يعلم تعيين ذلك اليوم إلا اللَّه وحده لا شريك له، وكذلك ما يكون من الأشراط تعيين الزمان لها لا يُعْلم، واللَّه أعلم»[(١)].

رَابِعًا: الْإِمَامُ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: قال: ـ رحمه اللَّه ـ: «والذي في كتب الإسرائيليين، وأهل الكتاب؛ من تحديد ما سلف بألوف، ومئتين من السنين، قد نص غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه، وتغليطهم، وهم جديرون بذلك، حقيقون به، وقد ورد في حديث: «الدنيا جمعة من جمع الآخرة»، ولا يصح إسناده أيضًا، وكذا كل حديث ورد فيه تحديد لوقت يوم القيامة على التعيين لا يثبت إسناده»[(٢)].

خَامِسًا: الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيُّ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ:

قال في شرح حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ مرفوعًا: «مَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ إِلَّا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ».

قال الحافظ: «وله محملان: أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب، ولا يُرَادُ حقيقة المقدار.

وَالثَّانِي: أن يحمل على ظاهره، ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة قدر خُمْسِ النهار تقريبًا)[(٣)].

وقال ـ رحمه اللَّه ـ في شرح حديث: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»؛ مُبَيِّنًا وجه الشبه: «هل المراد به قرب إحداهما من الأخرى، أم التفاوت الذي بينهما في الطول؟ وما المراد به؟ والأرجح المختار عندنا من هذه الأقوال أنه ليس بينه ﷺ وبين الساعة نبي آخر؛ فهي تليه» اهـ[(٤)].

---

(١)«التذكرة» للقرطبي، ص (٦٢٨).
(٢)«نهاية البداية والنهاية»، (٢٢/١).
(٣)نقله عنه في «المنار»، (٣٩٥/٩ ـ ٣٩٦).
(٤)نقله عنه في «السابق»، (٣٩٤/٩).

فَصْلٌ

وممن خاض في هذا البحث الأخ أمين محمد جمال الدين في كتابه «عمر أمة الإسلام»، وانتهى إلى أننا نعيش حقبة ما قبل النهاية، وهي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى.

ومما استدل به: ـ ما راه ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّمَا بَقَاؤُكُمْ فِيمَا سَلَفَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ، كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، أُوتِيَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ التَّوْرَاةَ فَعَمِلُوا، حَتَّى إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِيَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ الْإِنْجِيلَ، فَعَمِلُوا إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ عَجَزُوا، فَأُعْطُوا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، ثُمَّ أُوتِينَا الْقُرْآنَ، فَعَمِلْنَا إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَأُعْطِينَا قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَقَالَ أَهْلُ الْكِتَابِ: أَيْ رَبَّنَا، أَعْطَيْتَ هَؤُلَاءِ قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، وَأَعْطَيْتَنَا قِيرَاطًا قِيرَاطًا، وَنَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا؟ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَهُوَ فَضْلِي أُوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

وفي رواية «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِيمَا خَلَا مِنَ الْأُمَمِ؛ كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ، وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ. فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ، وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ عَطَاءً؟ قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي أُوْتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»[١].

وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى،

---

(١) رواه البخاري، (٥٥٧)، ((٢/٣٨- فتح)، (٢٢٦٨)، (٢٢٦٩)، (٣٤٥٩)، (٥٠٢١)، (٧٤٦٧)، والترمذي، (٢٨٧٥).

كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ قَوْمًا يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلًا إِلَى اللَّيْلِ، فَعَمِلُوا إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا إِلَى أَجْرِكَ، فَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ، وَلَكُمْ الَّذِي شَرَطْتُ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ صَلَاةِ الْعَصْرِ قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا، فَاسْتَأْجَرَ قَوْمًا فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ»[(١)].

قال الحافظ في «الفتح»: (واستُدِل به على أن بقاء هذه الأمة يزيد على الألف؛ لأنه يقتضي أن مدة اليهود نظير مدتي النصارى، والمسلمين، وقد اتفق أهل النقل على أن مدة اليهود إلى بعثة النبي ﷺ كانت أكثر من ألفي سنة، ومدة النصارى من ذلك ست مئة ـ وقيل أقل ـ، فتكون مدة المسلمين أكثر من ألف قطعًا»[(٢)].

ثم إن صاحب كتاب «عمر أمة الإسلام» يقول: «إن مدة عمر اليهود تساوي مدتي عمر النصارى، والمسلمين مجتمعتين، ومدة عمر النصارى هي ست مئة سنة[(٣)]؛ فإذا طرحنا مدة عمر النصارى ٦٠٠ سنة من ألفين؛ وهي مدة أهل الكتاب إلى بعثة محمد ﷺ كان الناتج عمر أمة اليهود. ٢٠٠٠ ـ ٦٠٠=١٤٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وذكر أهل النقل، والتاريخ أن هذه الزيادة تزيد عن المائة قليلًا، إذن، وبالتقريب؛ فإن عمر أمة اليهود يساوي ١٥٠٠ سنة.

وحيث إن عمر أمة الإسلام يساوي عمر أمة اليهود مطروحًا منه عمر أمة النصارى؛ فيكون عمر أمة الإسلام ١٥٠٠ ـ ٦٠٠ = ٩٠٠ سنة، وتزيد قليلًا.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إني لأرجو ألا تعجز أمتي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم، قيل لسعد رضي الله عنه: كم نصف يوم؟ قال: خمس مئة سنة[(٤)].

(١) رواه البخاري (٥٥٨)، (٢/٣٨ ـ فتح).

(٢) «فتح الباري»، (٤/٤٤٩).

(٣) بناء على قول سلمان رضي الله عنه: «فترة بين عيسى ومحمد ﷺ ست مئة سنة»؛ عزاه في «الفتح»، (٢/٤٠) إلى صحيح البخاري.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/٧٠)، وأبو داود «صحيح أبي داود»؛ (٣/٨٢١).

فعمر أمة الإسلام ٩٠٠ + ٥٠٠= ١٤٠٠سنة، وتزيد قليلًا.

ثم يستند إلى قول الإمام السيوطي في رسالته المسماة «الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف» في بيان خروج المهدي: «الذي دلت عليه الآثار أن مدة هذه الأمة تزيد على الألف، ولا تبلغ الزيادة خمس مئة سنة أصلًا».

ثم يقول: «ونحن الآن في سنة ١٤١٨من الهجرة، ولكننا في سنة ١٤٣٠ من البعثة، فنحن نعيش حقبة ما قبل النهاية، وفي مرحلة الاستعداد للفتن، والملاحم الأخيرة التي تسبق ظهور العلامات الكبرى»[١].

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا:

أن الأحاديث التي استدل بها مجرد مثال، وقد قال إمام الحرمين: «إن الأحكام لا تُؤْخَذُ من الأحاديث التي تأتي لضرب الأمثال»[٢]، ولا يلزم من التمثيل، والتشبيه التسوية من كل جهة، قال الحافظ ـ رحمه اللّٰه ـ تعالى ـ: «لا يلزمهم من كونهم أكثر عملًا أن يكونوا أكثر زمانًا؛ لاحتمال كون العمل في زمنهم كان أشق؛ ويؤيده قوله ـ تعالى ـ: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، [البقرة: ٢٨٦].

ومما يؤيد كون المراد كثرة العمل، وقلته لا بالنسبة إلى طول الزمان، وقصره: كونُ أهل الأخبار متفقين على أن المدة التي بين عيسى، ونبينا ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دون المدة التي بين نبينا ﷺ، وقيام الساعة؛ لأن جمهور أهل المعرفة بالأخبار قالوا: إن مدة الفترة بين عيسى، ونبينا ﷺ ست مئة سنة، وثبت ذلك في «صحيح البخاري» عن سلمان، وقيل: إنها دون ذلك؛ حتى جاء عن بعضهم أنها مئة وخمس وعشرون سنة، وهذه مدة المسلمين بالمشاهدة أكثر من ذلك، فلو تمسكنا بأن المراد التمثيل بطول

(١) «عمر أمة الإسلام»، ص (٤٣، ٤٥، ٤٨).
(٢) نقله عنه الحافظ في «الفتح» (٢/٣٩).

الزمانين، وقصَرهما، للزم أن يكون وقت العصر أطول من وقت الظهر، ولا قائل به؛ فَدَلَّ على أن المراد كثرة العمل وقلته، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم»(١).

وخلاصة القول في هذا أن: «هذه الأحاديث إنما تدل على أنه ما بقي بالنسبة لما مضى شيء يسير، لكن لا يعلم مقدار ما مضى، وما بقي إلا الله ـ تعالى ـ، ولم يَجِئْ فيه تحديدٌ يصح سنده.

قال بعض العلماء: المرادُ تشبيه من تقدم بأول النهار إلى الظهر، والعصر في كثرة العمل الشَّاقِ والتكليف، وتشبيه هذه الأمة بما بين العصر والليل في قلة ذلك وتخفيفه، وليس المراد طول الزمن وقصره؛ إذ مدة هذه الأمة أطول من مدة أهل الإنجيل.

وكان لهذه الأمة قيراطان من الأجر؛ لإيمانهم بموسى، وعيسى مع إيمانهم بمحمد ﷺ؛ لأن التصديق عَمَلٌ.

ويدل على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾، [المائدة: ٥٩].

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾، [المائدة: ٦٨](٢).

(١) «فتح الباري» (٢/٤٠).
(٢) انظر: «المسيح المنتظر ونهاية العالم»، ص (٢٧٩).